قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد ﷺ).

انتهى الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الكلام عن الأصلين الأول والثاني، وهما معرفة العبد ربه ومعرفة العبد دينه، وآن أن يبين الشيخ الأصل الثالث ألا وهو معرفة العبد نبيه محمد ﷺ.

لا شك أن من أعظم نعم الله عز وجل على هذه الأمة هو بعثة النبي محمد ﷺ إليها، ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بل إن أعظم النعم على الإطلاق التي أنعم الله سبحانه وتعالى بها على بني آدم هي بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام إذ أن الخير كل الخير والهدى كل الهدى، هو في رسالات الأنبياء-عليهم الصلاة ولسلام- فإن القلوب كلها ميتة وإن النفوس كلها مظلمة إلا ما أشرق عليه شمس النبوة، فحاجة الناس إلى الرسل أعظم من كل حاجة على الإطلاق، أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب بل إلى النَّفَسْ.

فإن ببعثة الرسل حياة قلوبهم، وإذا كان ذلك كذلك، فينبغي أن تعلم أن معتقد أهل السنة والجماعة في قضية بعثة الرسل متوسطة بين طرفي انحراف، فهم يعتقدون أن النبوة اصطفاء من الله سبحانه وتعالى، وأنه لا يمكن ألبتة أن يوصل إلى هذه الرتبة العظيمة المنيفة، إلا باصطفاء من الله سبحانه، ومع ذلك، فأهل السنة يعتقدون أن الله تعالى إنما يبعث من أنبياءه ورسله من هم أمثل الناس، وأفضل الناس وأحسن الناس.

إذن معتقد أهل السنة في هذه المسألة متركب من هذين الأمرين:

النبوة اصطفاء؛ بخلاف قول من قال إنه يمكن الوصول إلى رتبة الأنبياء برياضة روحية ومجاهدة نفسية، وخلوة وما إلى ذلك.

أيضًا أن الله جل وعلا إنما يختار الأنبياء على علم منه سبحانه وتعالى ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ ﴿أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ الله إنما يصطفي من الأنبياء والمرسلين من هو جدير بهذه الرتبة، بخلاف قول من قال من أهل البدع إنه يمكن ويجوز أن يرسل الله سبحانه من كان فاسقًا فاجرًا مجرمًا، والقضية محض مشيئة، لا شك أن هذا القول قول باطل، بل الله جل وعلا إنما يبعث من المرسلين من هو أفضل قومه قبل البعثة ولا شك أنه سيكون قدرة عظيما، بل أعظم بما لا مقارنة بعد البعثة.

....

إذن هذا قول متوسط بين طرفي الانحراف في هذه المسألة.

مسألة بعثة نبينا محمد ﷺ، ومعرفته والإيمان به قضية في غاية الأهمية، ولا بد علينا يا أيها الإخوان أن نحرص على فهمها جيدًا وعلى فقهها فقهًا حسناً، فهذا الزمن الذي نعيشه زمن تنتشر فيه الشبهات، فثمة شبهات كثيرة تغتال وتجتال ضعيفي الإيمان أو ضعيفي العلم، وتشككهم في الأصول وتبث بينهم الشبه، وما أقرب وصولها إلى الناس لا سيما الناشئة، شبابنا وفتياتنا، نشأتنا، أبناءنا وبناتنا هم في الحقيقة تحت مرمى سهام المشككين.

والشبكة العالمية ومواقع التواصل مليئة بالتشكيك؛ التشكيك في الدين، التشكيك في الإيمان برب العالمين، التشكيك أيضًا في نبوة سيد المرسلين ﷺ، وأمام هذا السيل الجارف من الشبه ينبغي بل يتعين على كل مسلم أن يكون متحصنًا بمعرفة دلائل نبوته ﷺ وشواهد صحة رسالته ﷺ فإن هذا من الأمور المهمة.

وأهل العلم يقررون أن أدلة نبوة النبي ﷺ أدلة كثيرة ويمكن أن تُقسم لكثرتها إلى مجموعات:

أولًا: دليل الدلائل والبراهين الحسية: وهي التي اشتهر تسميتها بالمعجزات، فإن هذه دليل صريح يذعن العقل له أن هذا النبي ﷺ رسول من عند الله، كون رجل يذكر عن نفسه أنه رسول من عند الله، ثم يجري الله سبحانه على يديه آيات عظيمة، يعجز البشر عن مثلها تمامًا.

كونه يخبرهم أن من دلائل نبوته أن القمر ينشق ويحصل، ويشير النبي ﷺ إليه وقد أصبح فلقتين، أصبح قطعتين، ويرون الجبل بين هاتين القطعتين، ثم يرجع مرة أخرى ويلتئم، هل ممكن أن يكون هذا من غير نبي مرسل من الملك القدير الذي بيده ملكوت كل شيء؟ لا يمكن، كون هذا النبي ﷺ تسبح الأطعمة بين يديه، ويسلم الحجر عليه، ويفور الماء من بين أصابعه، وتنقاد الشجرة إليه ﷺ، ثم ترجع، ويحن الجذع إليه ﷺ، إلى غير ذلك من هذه المعجزات الكثيرة، كلها دلائل وبراهين قطعية على نبوة هذا النبي ﷺ.

الأمر الثاني: دليل القرآن العظيم: وهو من أعظم الأدلة على نبوة النبي ﷺ ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ والله إنه لكافٍ، قرآن عظيم لا تنقضي عجائبه، عجز البشر جميعًا بل والجن معهم على أن يأتوا بمثله، بلى على أن يأتوا ببعضه، بلى على أن يأتوا بسورة

من مثله، والله إنهم لعاجزون فهو قد بلغ القمة في كل شيء، بلغ القمة في فصاحته وبلاغته، وبلغ القمة في دلالته وإرشاده إلى أحسن ما يكون من الحكم والأحكام ومعاني الأخلاق، بلغ القمة في إخباره بالمغيبات، بلغ القمة في كل شيء مهما قلبت كتاب الله وجدته كتابًا معجزًا، يقف الجميع أمامه حاسرين لا يستطيعون إلا أن يسلموا بأنه كلام الله العظيم، إذن الذي جاء به لا بد أن يكون رسولًا من عند الله.

أيضًا من الأدلة وهو الدليل الثالث: دليل الأحوال: حال النبي ﷺ وأخلاقه وخلاله شاهد قطعي على أنه رسول من عند الله، وهذا ما أرشد إليه ربنا جل وعلا في قوله عنه ﷺ ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ إذن أنتم تعرفون أخلاقه، وتعرفون مدخله وتعرفون مخرجه، وتعرفون سيرته وتاريخه، أبعد هذا يخفى عليكم الفرق بين النبي الصادق والدجال الكاذب؟ أنتم تدركون قطعًا أنه ﷺ كان قبل النبوة هو الغاية في الأخلاق حتى أنه سمي بالأمين ﷺ، لم يكن يكذب في حديث مع الناس، أفيكذب في خبر رب الناس.

لا يمكن أن يكون هذا، نبينا ﷺ يذعن كل من قرأ تاريخه وسيرته أنه قد بلغ الكمال الإنساني من جميع وجوهه وهذا دليل وبرهان أيضًا على صدق نبوته ورسالته ﷺ.

الدليل الرابع: دليل مضمون الرسالة: الرسالة نفسها شاهد على أنها من عند الله ﷻ وعلى أن الذي جاء بها هو نبي من عند الله ﷻ، ألم ترى إلى أن هذا الدين العظيم دين الإسلام دين عام شامل وافٍ كافٍ يغني عن غيره ولا يغني عنه غيره، دين جامع للمصالح، دافع للمفاسد، كل صغير أو كبير فيه شاهد بأنه دين رب العالمين ﷻ، دين ما ترك خيرًا إلا دل عليه ولا شرًا إلا حذر منه، دين بلغ القمة في الدقة، كل شيء من أمور الدين والدنيا فإنه بيّنه وجلّاه، وأرشد فيه إلى ما فيه سعادة المجتمعات وسعادة الأفراد، لا يمكن أن يكون هذا إلا من عند رب العالمين، مستحيل أن يكون هناك شخص يستطيع أن ينظم كل شيء بدقة ويخبر عن حكم كل شيء بتفصيل بالغ من سياسات الدول ولا كيف يلبس الإنسان حذاءه.

حتى أنه ما ترك أحكام التجارة ولا أحكام الزراعة ولا أحكام النكاح ولا إحكام الطلاق، ولا أحكام تربية الأولاد ولا كيف يعبد الإنسان ربه، ولا كيف يعامل جاره، ولا كيف يتعامل مع الحيوانات، ما ترك شيئا إطلاقًا، يستحيل أن يكون هذا مخترعا من هذا النبي ﷺ وحاشاه.

إذن لابد أن يكون هذا دينًا مبعوث به رسول من عند الله ﷻ.

أيضًا من الأدلة وهو الدليل الخامس دليل الإخبار بالمغيبات: فإن الكتاب والسنة قد أخبرا بأشياء كثيرة أنها ستقع مستقبلًا ووقعت كما أخبر النبي ﷺ.

والدلالة هنا من وجهين لا من وجه واحد:

أولًا: أن مجرد إخبار النبي ﷺ بأن شيئًا سيكون وربما يخبر أنه سيكون عن قريب، هذا دليل على أنه ما يتكلم من عنده، لا بد أن يكون هذا الكلام عن وحي من الله العليم الذي يعلم كل شيء، هو القدير الذي يقدر على كل شيء، هو الملك الذي يدبر كل شيء، تأمل معي حينما يقول النبي ﷺ إن الله يقول-يخبر عن كلام الله- ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ هذا الأمر سيقع، سيغلبون، الآن لاحظ هذا الكلام يسمعه أناس هم ألد أعداء له ينتظرون عليه أي شيء يستدلون به على أنه كاذب وعلى أن النبوة بالباطل، ومع ذلك النبي ﷺ يخبر أن هذا سيكون، سيغلبون، لا ليس هذا فقط بل ويحدد المدة في كم في بضع سنين.

أي عاقل عنده ذكاء، وكان مفتريًا على الله في هذه الرسالة أكان يجازف هذه المجازفة؟ أجيبوا يا جماعة مستحيل أن يجازف هذه المجازفة أنه لو مضت هذه السنوات البضع من ثلاث إلى تسع، لو مضت تسع سنوات في اليوم الذي سيكون بعد ذلك سيفتضح، فمن هذا الذي سيجازف هذه المجازفة بعد هذا التعب الطويل والعناء في الدعوة ثم يأتي يفضح نفسه! لو كان كذلك، وحاشاه ﷺ، إذا لا يمكن أن يكون هذا إلا عن وحي من الله، فهو رسول والذي بعثه هو الله الرب العظيم ﷻ.

إذن أولًا ما كان الرسول ﷺ يقول هذا إلا لأنه يعلم أنه رسول وهو صادق في قوله، وثانيا يقع الذي يخبر به كما أخبر ﷺوهذا في الحقيقة من الأمور التي لا يمكن لأي إنسان عنده شيء من الإنصاف إلا ويسلم أن هذا حقا رسول من عند الله جل وعلا.

في هذا العصر أحد علماء الغرب بروفيسور في أحد العلوم الكونية التجريبية، هذا الرجل أسلم وجاء هنا إلى المملكة، سبب إسلامه آية وقف عندها، الرجل باحث عن الحق أخذ المصحف المترجم وبدأ

....

يقرأ، قرأ قرأ من أول القرآن حتى وصل إلى سورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ فأغلق المصحف وقال: أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

هذا الكلام بلغه النبي ﷺ في حياة أبي لهب، لو أن أبا لهب قال أسلمت، ولو كذبًا لسقطت الدعوة المحمدية صح ولا لا؟ لو قال أسلمت شوفوا أنا أسلمت وما معنى سيصلى نار ذات لهب، يعني سيموت كافرًا ويصلى بعد ذلك نارًا ذات لهب.

طيب لو جاء أبو لهب وقال لا يا جماعة أنا أشهد أن لا إله إلا الله ولو كاذبًا انتهت الدعوة، لكن هذا دليل على أن هذا الكلام من عند الله، والله يعلم بما سيؤول إليه الأمر وأن قلب أبي لهب بيد الله ﷻ، وهذا له الأمثلة كثيرة، خذ مثلًا في اليهود الله أخبر عنهم في قضية الموت، قال: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ قف عند قوله تعالى ماذا ﴿أَبَدًا﴾ هؤلاء اليهود في عهد النبي ﷺ لا ولن يتمنون الموت، طيب أليس ممكن عقلا أن أحد هؤلاء اليهود أن يأتي إلى النبي ﷺ ويقول أنا أتمنى الموت، أنا اسأل الله أن يميتني، عقلا هذا ممكن؟ ومع ذلك النبي ﷺ يخبر أن الله يقول هؤلاء لن يتمنوا الموت أبدا ويحصل ما أخبر به ﷺ.

إذن هذا كلام من ؟ كلام الله ولا يمكن أن يكون إلا كلاما من عند الله، من العليم القدير المدبر ﷻ، وقس على هذا أشياء كثيرة جدا، و لم يزل العلم الحديث يكشف لنا كل يوم دليلا على نبوته ﷺ، ورسالته وأن ما أخبر به النبي ﷺ قبل هذه القرون الطويلة كل ما أخبر به ﷺ لا يزال العلم يشهد بصحته ﷺ.

إذن هذه دلائل وبراهين ترشدك يا رعاك الله إلى نبوته ورسالته ﷺ وأنا أعيد وأؤكد وأركز على هذه المسألة المهمة، نحن بحاجة إلى أن نتكلم على هذا الموضوع في هذا العصر على وجه الخصوص، لا سيما أمام الناشئة، لأنهم كما ذكرت يتعرضون لموجة من التشكيك والشبهات من الملاحدة ومن ألا دينيين.

وهذا شيء قريب منهم جدًا، فمن أعظم أسباب نشر هذه المذاهب الفكرية الكفرية بينهم وسائل التواصل الاجتماعي، ومع الأسف صغار أبنائنا وبناتنا الآن صغارهم يستعملون هذه

....

الوسائل، ولهم فيه حسابات ويدخلون ويقرؤون ومع الأسف يقرؤون وهم يثقون في أنفسهم، والواقع أن كثيرا منهم ليس محصن بالتحصين الكافي،

إذن هذه وظيفتنا نحن معشر الآباء، معشر الأخوان، معشر المعلمين، معشر الموجهين، أن ننبه ونبين ونغرس فيهم هذا الأمر.

أعود فأقول الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: (**معرفة نبيكم محمد** ﷺ)، لا بد أن تعرف نبيك محمد ﷺ هذا أصل لا بد منه في دينك، وإلا فكيف ستشهد أن محمداً ﷺ رسول الله وأنت لا تعرفه، إن كنت تجهله جهلا مطبقا لا تعرفه ألبتة، فإن شهادتك حينئذ تكون شهادة فيها نظر، لأن قلنا ما معنى شهادة؟ ما معنى أشهد؟ أنطق أخبر بما أعلم وأتيقن، فكيف تشهد بنبوة رجل لا تعرفه أصلا إذن لا بد أن يكون عندك قدر من المعرفة هذا النبي الكريم محمد ﷺ، هذا أولًا.

ثانيًا لا بد أن نعرف النبي ﷺ حتى نحبه محبة عظيمة، ألم تسمع إلى قول النبي ﷺ «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**»؟ أسالك هل يمكن أن تصل إلى هذه المرحلة وأنت تجهله، المحبة يا إخواني تتبع العلم، كلما كنت للشيء أعلم أو بالشيء أعلم،كلما كنت له أشد حبًا

إذا عرفت الشيء بصفاته الجيدة والجميلة والكاملة فإنك تقبل عليه وتحبه، أما لو كنت تجهله فإن حبك ينقص بحسب ذلك.

إذن حتى تصل إلى هذه المرتبة، وهي مرتبة لا يكون لك إيمان واجب إلا بتحقيقها، إذن لا بد أن تعرفه ﷺ، تعرفه بعينه باسمه ﷺ، تعرف صفاتهﷺ، تعرف خلاله، تعرف شمائله، تعرف دلائل نبوته ﷺ وبذا تصل إلى هذه المرتبة التي هي مطلوبة وواجبة من كل مسلم. أن تحبه ﷺ أكثر من محبة الوالد والولد ومن الناس أجمعين.

إذن نحن بحاجة إلى معرفة النبي ﷺلهذا الأمر.

أمر ثالث: نحن بحاجة إلى معرفة النبي ﷺ حتى نرضى به نبيًا، ولماذا نرضى به نبيًا، الجواب: لكي نذوق طعم الإيمان، قال ﷺ كما في صحيح مسلم «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا**» كيف ترضى به ﷺ نبيًا؟ بأن يحصل عندك رضا وتسليم بل وفرح

....

بأن هذا النبي الكريم ﷺ هو نبيك وأنك أنت من أتباعه ومن أمته ﷺ، كيف يكون ذلك وأنت تجهله؟ إذن لا بد من معرفته ﷺ.

ومن طرق معرفته ﷺ بل أهم ما ينبغي عليك أن تحرص عليه أن تحرص على أمرين:

- أن تعرف شمائله وسيرته ﷺ
- أن تعرف دلائل نبوته ﷺ وهذا من الأمور التي يقع فيها تقصير مع الأسف الشديد من عامة الناس إلا ما رحم الله ولا سيما الناشئة، ناشئة المسلمين إلا قليلا في غفلة مع الأسف الشديد عن العلم بسيرة النبي ﷺ وشمائله ودلائل نبوته، ربما تسأل الطفل أو الطفلة عن أشخاص ممن يشاهدونهم على الشاشات وربما لا يستحقون أصلا أن يعرفوا ولكن تجد معرفة دقيقة بكل شيء عنهم، عن أدق التفاصيل في حياتهم أليس كذلك. الأمر واقع لكن ربما سألته أسئلة يسيرة وواضحة في السيرة عن النبي ﷺ ربما يجيبك وربما لا يجيبك، هذا واقع أو لا ؟ واقع مع الأسف الشديد.

ومن أسباب الحصول على هذا القصور التقصير منا، التقصير منا معشر الآباء، معشر الموجهين، معشر الأخوة، ولأجل هذا نحن بحاجة يا أخوان أن نركز على هذه الأمور.

الجيل الناشئ بحاجة إلى قدوات، إذا لم تبرز أمامه القدوات فإن القدوات ستكون لأناسًا لا خلاق لهم، وأعظم قدوة لكل مسلم على الإطلاق ولا شك نبينا محمد ﷺ فنحن بحاجة إلى أن نتذاكر وأن نتدارس وأن نتعلم وأن نحفظ سيرة النبي ﷺ وشمائله وكذلك دلائل نبوته ﷺ،كذلك هناك تقصير من بعض طلبة العلم، ربما يبحثون في دقائق دقيقة جدًا في العلم ولكن عندهم غفلة عن العلم بسيرة النبي ﷺ، يعني ربما تجد من طلبة العلم من قرأ كتب كثيرة في علوم من علوم الآلة الفرعية وربما ما قرأ كتاب في سيرة النبي ﷺ أو ما اقرأ كتاب في الشمائل المحمدية فنحن بحاجة يا إخوان إلى أن نعتني بهذا الجانب.

إذن هذا هو الأصل الثالث معرفة نبيكم محمد ﷺ.

الشيخ رحمه الله اعتنى بهذا الموضوع عناية جيدة وذكر نبذة يسيرة في سيرة النبي ﷺ لعلمه رحمه الله بحاجة المسلم الماسة إلى هذه القضية العظيمة، ويا لله العجب من أناس يتهمون الشيخ رحمه الله بأنه لم يكن يعطي النبي ﷺ قدره.

....

أين هم من كلامه رحم الله في هذا الأمر وتأكيده عليه بل جعله أصلاً ثالثاً من أصول الدين، أيقال بعد ذلك أنه ما كان يعطي النبي ﷺ قدره؟ سبحانك هذا بهتان عظيم، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تكلم عن جزئيات في سيرة واسمه ﷺ ونسبه وبماذا نبئ وبماذا أُرسل ثم عطف على ذلك بعض المسائل التي ختم بها الرسالة.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام).

بدأ باسمه ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، عبد المطلب جده وكان النبي ﷺ ببعض الأحوال يقول: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**» **وعبد المطلب**: اسمه شيبة، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، **وهاشم**: اسمه عمرو بن عبد مناف، من قريش القبيلة العربية المشهورة التي كانت لها الحجابة والرفادة والسقاية في مكة، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام.

إذن نبينا محمد هاشمي، قرشي، عدناني، عربي، هذا من الأمر الذي لابد من معرفته عنه ﷺ.

قال: **(محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم)** قلنا هاشم إليه يرجع الفخذ الهاشمي الذي هو الفخذ الذي يخبر أنه آل بيت النبي ﷺ، وهاشم كما ذكرت اسمه عمرو، **وسمي بهاشم**؛ لأنه كان يهشم الخبز، يكسر الخبز ويصنع منه الثريد، فكان يطعم الحاج والزائر إلى بيت الله الحرام في كل ووقت، ومائدته كانت لا تنكس أعلامها لا في زمن رخاء ولا في زمن ضر، كان من الكرماء المشهورين الذي هو هاشم الجد لثاني للنبي ﷺ.

قال: **(وهاشم من قريش)** قريش قبيلته ﷺ، وتنسب على المشهور إلى الجد العاشر للنبي ﷺ الذي هو فهر بن مالك، وكل من كان من نسل فهر فإنه قرشي، ومن كان قبل ذلك فإنه ليس بقرشي والثابت من نسب النبي ﷺ هو ما كان إلى عدنان، وأما ما عدا ذلك فهو إلى إسماعيل فإنه ليس بثابت ولا يجزم به.

إذن النبي ﷺ من قبيلة قريش التي كانت أشهر قبائل العرب، وأكرم قبائل العرب وأقوى قبائل العرب.

واختلفوا في سبب تسمية هذه القبيلة بهذا الاسم "قريش": فقيل إن قريش من التقرش يعني التجمع، تجمعوا بعد تفرق، وقيل لا، التقرش بمعنى التكسب وهم كانوا أهل تجارة، وهاشم هو أول من سن لهم الرحلتين، رحلة الشتاء والصيف، وقيل قريش سميت بذلك نسبة إلى الدابة التي تسكن في البحر يعني سمك القرش لقوتها وأن هذه السمكة تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى.

وسأل معاوية رضي الله عنه ابن عباس رضي الله عنهما لما سميت قريش بقريش؟ فقال: "من الدابة التي تسكن البحر:

....

أما سمعت قول الشاعر:

وقريـــش التي تسكن البحـــر ... بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تترك ... لذي الجناحين ريشـــا

هكذا في البلاد حيوا قريش يأكلون البلاد أكلا كميشًا، أكلا كميشًا يعني أكلًا شديدًا فمن هذا والله أعلم سميت قريش على أحد الأقوال السالفة.

وبهذا نعلم أن إسماعيل وإبراهيم هما جدان للنبي محمد ﷺ

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبياً رسولاً).

توفي النبي ﷺ وعمره ثلاث وستون عام، أربعون منها قبل النبوة وثلاث وعشرون عام وهو نبي رسول ﷺ.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (الأصل الثالث معرفة نبيكم محمد ﷺ وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبياً رسولًا).

مضى الكلام في هذا **الأصل الثالث**؛ ألا وهو معرفة نبينا محمد ﷺ وذكرنا أنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي، القرشي، العدناني، العربي.

وقد ذكر الشيخ هنا أن هاشم من قريش، وهم الفخذ الذين يرجع إليهم النبي ﷺ من قريش، وهم أيضًا آل بيت النبي ﷺ قال: **(وقريش من العرب)** يعني: من العرب المستعربة، حينما ذكر أن العرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام، يعني العرب المستعربة لا العرب العاربة.

وكان عمره ﷺ يوم أن توفي ثلاثة وستين عاماً، منها أربعون سنة قبل النبوة، فالنبي ﷺ بُعث وعمره أربعون سنة، ومنها ثلاثة وعشرون عاماً رسولاً نبياً ﷺ

قال رَحِمَهُ اللهُ: (نُبئ بـــ "اقرأ"، وأُرسل بـــ "المدثر"، وبلده مكة، بعثه الله بالنذارة عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد).

نُبئ ﷺ بـــ "اقرأ" فسورة اقرأ مطلعها، الخمس آيات الأولى من هذه السورة أول ما أُوحي إلى النبي ﷺ، على الصحيح من كلام أهل العلم، وبهذا الوحي كان ﷺ نبياً.

وقد سُبق هذا بالرؤيا الصالحة التي كان يراها ﷺ، إذ كان لا يرى رؤيا إلا وحدث ما أخبر به أو ما أُخبر به في المنام كأن ذلك فلق الصبح، لكن هذا إرهاص ومقدمة لما هو مُقدم عليه ﷺ من مقام النبوة الشريف، وبيان ذلك أن النبي ﷺ كان يتعبد في غار حراء، حُبب إليه ذلك، يخلو بنفسه، ويتأمل في هذا الكون، ويجلس الليالي ذوات العدد في غار حراء، ثم يعود فيتزود لجولة أخرى، وخلوة أخرى.

وإذ كان هناك جاءه جبريل عليه السلام فغطه، يعني: ضمه، حتى بلغ منه الجهد، ثلاث مرات، وكل ذلك يقول عليه السلام للنبي ﷺ: «**اقرأ**» والنبي ﷺ يقول: «**ما أنا بقارئ**»؛ لم يكن ممتنعاً من الإجابة، إنما كان مخبراً أنه لا يحسن القراءة.

وفي المرة الثالثة قال جبريل عليه السلام: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ثم فتر الوحي بعد ذلك، ورجع النبي ﷺ إلى خديجة رضي الله عنها وهو يقول: «**زمّلوني، زمّلوني، دثّروني، دثّروني**» فقد أصابه ﷺ الخوف بسبب هذا الذي رآه، وهو شيء عجيب، فطمأنته رضي الله عنها بأن الله لن يخزيه أبداً، ثم ذهبت به إلى ورقة بن نوفل رضي الله عنه فأخبره أنه الناموس الذي نزل على موسى عليه السلام، وهكذا جميع الأنبياء يُوحى إليهم، وهذا الملك هو الملك الموكل بالوحي.

ثم أُرسل ﷺ بالمدثر؛ إذاً كان نبياً بسورة "اقرأ"، ورسولاً بسورة "المدثر"، ولما كان ذلك فإن النبي ﷺ بدأ البعثة العامة، وبدأ الدعوة العامة لجميع أهل مكة، قال جل وعلا ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ فخرج النبي ﷺ، وبدأ يدعو إلى التوحيد.

(وبلده ﷺ مكة) وُلد ﷺ -باتفاق العلماء- في مكة، ثم هاجر ﷺ إلى المدينة، وبها تُوفي، إذاً مولده ﷺ بمكة، ووفاته بالمدينة، وُلد ﷺ يوم الاثنين -بالاتفاق- بل بنص الحديث عن النبي ﷺ لما

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وبلده مكة، بعثه الله بالنذارة عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد).

ذكر يوم الاثنين وصيامه، قال: «**ذاك يوم وُلدت فيه**» وهو اليوم الثاني عشر من ربيع الأول، على قول، وعلى قول آخر، هو اليوم التاسع من ربيع الأول، وكان هذا عام الفيل.

وقد ذكر بعض المحققين من المؤرخين أن ذلك كان سنة إحدى وسبعين وخمسمائة من الميلاد، فهذا هو ميلاد النبي ﷺ.

قوله: (بعثه الله بالنذارة عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد) هذه هي خلاصة بعثة النبي ﷺ، بعثه الله بالنذارة عن الشرك، ويدعو ﷺ إلى التوحيد، هذه خلاصة مركزة لدعوته ﷺ، وهي دعوة جميع الأنبياء والمرسلين، أهم قضية، وأكبر قضية في دعوتهم جميعاً، هي الدعوة إلى التوحيد، توحيد الله ﷻ.

ولا شك أن الإجماع قد انعقد على أن أعظم ما في دعوات الأنبياء والمرسلين، وما في كتب رب العالمين، هو توحيده ﷻ، ولذا فليس بعجب أن تكون هذه القضية أهم قضية يدعو إليها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ كلهم كان ينادي ويصيح في قومه ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ كانت تلك الأمم جميعاً تعيش مشكلات؛ تعيش مشكلات اقتصادية، تعيش مشكلات اجتماعية، تعيش مشكلات أخلاقية، تعيش مشكلات شتى، ولكن تبقى القضية الأهم والأبرز والتي شمر لها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن ساعد الجد هي قضية التوحيد، أن يُعبد الله وحده لا شريك له.

ولذا النبي ﷺ افتتح دعوته بالتوحيد، «**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**» واختتم دعوته أيضًا بالتوحيد، ففي آخر لحظات حياته ﷺ يقول: «**لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذر ما صنعوا، وفيما بين ذلك كانت قضية التوحيد تشمل أكبر مساحة من دعوته الشريفة عليه الصلاة والسلام، إذا كان ذلك كذلك، فعلى الدعاة إلى الله جل وعلا أن يسيروا على نهجه ﷺ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ فيا معشر الدعاة، يا معشر طلاب العلم؛ ليكن لكم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة بالعناية بالتوحيد، لتكن قضية التوحيد أول قضية، وأهم قضية، وأكبر قضية، في دعوتكم.

....

ولا شك أن الدعوة إلى التوحيد ليست محصورة في المجتمعات التي تنتشر فيها المخالفات العقدية، بل ينبغي أن تكون الدعوة إلى التوحيد حتى في المجتمعات التي قد صفت وخفّت فيها مظاهر الشرك بالله ﷻ، هذا النبي ﷺ كما في الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت ﷺ، أنه كان مع النبي ﷺ في جماعة من الصحابة فقال ﷺ: «**بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً**» سبحان الله! هؤلاء أصحاب النبي ﷺ، هؤلاء أئمة التوحيد، أبعد الناس عن الشرك، ومع ذلك النبي ﷺ يأخذ عليهم العهد والبيعة على أن لا يشركوا بالله شيئاً، وفي هذا أحاديث شتى عن النبي ﷺ أقول إذا كان ذلك مهماً في مجتمع صاف موحد، فكيف والمجتمعات الإسلامية اليوم تعاني من مشكلات عقدية كبرى؟ أليس حرياً بالدعاة وطلاب العلم أن يجدّوا ويجتهدوا في الدعوة إلى التوحيد؟ هل تعلم كم الذين يدعون غير الله ﷻ؟ يهتفون باسم أموات، ويتركون رب الأرض والسماوات!! هل تعلم كم الذين يلجئون إلى القبور، ويتمسحون بالأعتاب، ويتبركون بالقبور، ويتمسحون بها؟ كم الذين يذبحون ويطوفون بهذه القبور، وينذرون لها؟ وكم الذين يعتقدون أن الله تعالى في كل مكان؟ وكم الذين يعلقون التمائم والخيوط على السواعد، وعلى الأعناق؟ وكم الذين يذهبون إلى السحرة، والكهان، والمشعوذين، ويطلبون السعود أو دفع النحوس أو كشف شيء من أمور الغيب، أو يتعلقون بالأبراج ويعتقدون فيها ويقرءون المجلات المخصصة لهذا الأمر؟ وكم الذين يقعون في أنواع من البدع العقدية والعملية؟ وكم الذين ضعف اعتصامهم بكتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، وربما أصبحوا ينظرون إلى الشريعة بأنها شريعة ناقصة، لا تستوعب مجريات وحوادث هذا العصر الحديث؟ أو الذين يتقززون من بعض أحكام الشريعة أو يصفونها بالوحشية، ويقع في قلوبهم ويخالجها شيء من الشك في دين الله ﷻ حينما شرع الله الحدود، وجعل القوامة للرجل لا للمرأة باستقلال، أو أمر بكون المرأة لا تسافر إلا مع ذي محرم، أو أمرها بالحجاب أو نحو ذلك من هذه الأحكام الشرعية العظيمة، أو أمر بكون المرأة لا تسافر إلا مع ذي محرم، أو أمرها بالحجاب، أو نحو ذلك من هذه الأحكام الشرعية العظيمة؛ ويغذي هذا كله وسائل تدأب ليل نهار في إضعاف التمسك بالتوحيد، والاعتصام بحبل الله ﷻ فضائيات اتخم بها الفضاء، وشبكات تصطاد الذين ضعف إيمانهم، أو ضعف علمهم، وتبث فيهم الشبه الإلحادية، واللا دينية، أو التي تطعن في سنة النبي ﷺ، أو تطعن في أهل العلم، وتقلل من مكانتهم في النفوس إلى غير ذلك. من هذا المكر الكبار الذي

....

يدأب عليه شياطين الإنس، والجن أبعد هذا كله يضعف الدعاة إلى الله في الدعوة إلى التوحيد، ويتركوا الهمة العالية، والنشاط في الدعوة إلى التوحيد، وبناء خطبهم، ودروسهم، وكلماتهم، ومقالاتهم على هذا الأمر العظيم إن هذا في الحقيقة لأمر مؤسف جدا ربما تجدوا من بعض الدعاة وطلاب العلم من يتناول قضية التوحيد لكن يتناولها على قلة، ويتناولها أيضًا على ضعف، ويتناولها أيضًا على إجمال، ولا يفصل، ولا يبين، ولا يحقق، والناس والله يا إخواني أحوج ما يكونوا في هذا الزمان إلى هذه القضية العظيمة إلى بيان تفاصيل المعتقد، وإلى دفع الشبهات، ودرء التشكيك الذي يوجه إلى الناس شبابا وكبارا ورجالا ونساء، القضية هذه يا إخواني ينبغي أن نتنبأ لها الله جل وعلا بعث النبي ﷺ بهذه القضية التي هي الأهم على الإطلاق ينذر عن الشرك ويدعوا إلى التوحيد ﷺ إن كنت من أتباعه فهذا هو الطريق ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ فإن كنت من أتباعه فدونك طريق الدعوة إلى التوحيد فهذه هي سبيله ﷺ.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (والدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ ومعنى ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ : ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ عظمه بالتوحيد، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ أي طهر أعمالك من الشرك، ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ الرجز: الأصنام، وهجرها تركها، وأهلها والبراءة منها وأهلها، أخذ على هذا عشر سنين.

قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾:أصل هذه الكلمة المتدثر؛ ثم أدغمت التاء في الدال فقيل المدثر، والدثار هو ما يغطى به ويلتحف به، ويكون من فعل هذا متدثرا، والله جل وعلا وجه هذا الخطاب إلى النبي ﷺبعد أن أصابه ﷺ ما أصابه، وقال دثروني دثروني زملوني زملوني أمر الله جل وعلا بهذا الخطاب بأوامر عظيمه ابتدئها ﷻ بتوجيه الخطاب إليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾.

﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ قم: فعل أمر. أنذر فعل أمر أيضًا؛ ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ يعني عظمه بالتوحيد، ربك فكبر، ولاحظ أن تقديم الاسم الجليل الرب ربك يدل على التخصيص، فالذي يجب أن يكبر هو الله ﷻ؛ ما قال وكبر ربك، إنما قال وربك فكبر دلالة على الحصر والتخصيص.

قال ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ اختلف العلماء في تفسير الثياب ومعنى التطهير، **فذهبت طائفة من أهل العلم** إلى أن الثياب استعارة عن النفس: والعرب تطلق الثياب وتريد النفس.

ومن ذلك قول عنترة:

فشككت بالرمح الأصم ثيابه   ليس الكريم على القناب محرم

يعني ضربت نفسه، وطعنته بالرمح فيكون المعنى إذن، (ونفسك فطهر) وأعظم ما يطهر عنه هو الشرك بالله ﷻ، ثم بقية المعاصي والمحرمات.

وذهبت طائفة من أهل العلم إلى أن هذه الآية فيها الأمر بتطهير الثياب من النجاسة، وذلك أن المشركين ما كانوا يعتنون بطهارة أنفسهم، وثيابهم فأمر ربنا جل وعلا نبينا ﷺ والأمر له ولأمته بالعناية بالطهارة، والتزاهة من النجاسة، وهذا الذي ذهب إليه الشافعي رَحِمَهُ اللهُ، واستدل هو وغيره

....

من أهل العلم على شرطية طهارة الثياب في الصلاة، ولا شك أن هذا من الواجبات المهمة، ومن شروط الصلاة، ومن الأمور التي ينبغي أن يتنبأ لها المسلم.

وقد ذكرت سابقًا في درس ماض أن الناس في هذه القضية طرفان ووسط:

طرف: متكاسل، ومتساهل، ولا يبالي بالنجاسة التي تقع على جسده، أو تقع على ثيابه، وهذا متوعد بأمر عظيم فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**أكثر عذاب القبر من البول**» وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما لما مر النبي ﷺ بقبرين قال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير**» يعني ما يعذبان في كبير في نظرهما، أو ما يعذبان في كبير تركه.

وفي رواية قال: «**بلى إنه لكبير أما أحدهما فكان لا يستتره من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**» الأول كان لا يستبرئ من البول، ولا يتنظف، ولا يتطهر من هذه النجاسة فعوقب في قبره والعياذ بالله.

بل ذكر ابن القيم رحمه الله أن وضعه ﷺ نصف الجريدة على هذا القبر والنصف الآخر على ذاك دليل على أن العذاب مستمر إلى يوم القيامة قال لأنه قيد التخفيف بمدة رطوبة الجريدة «**قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**» يعني يعود بعد ذلك العذاب، وهذا استنباط ابن القيم رحمه الله في كتابه الروح، إذن هذا طرف.

الطرف الآخر: هم المغالون الذين وقعوا في الوسوسة نسأل الله السلامة والعافية، الذين شقوا على أنفسهم كثيرا في مسألة الطهارة حتى إن أحدهم لربما استغرق في دورة المياه الوقت الطويل، وقد حدثني بعض هؤلاء انه يجلس إلى ثلاث ساعات يتطهر بحيث أنه يدخل مع دخول الوقت، وقد يدرك الوقت للصلاة، وقد لا يدركه نسأل الله السلامة والعافية كلما غسل شيئًا يأتيه الشيطان يقول: لا لعل البقعة هنا، أو هناك، وربما غسل الثوب كله ثم يأتيه الشيطان فيقول لا خرج منك شيء، ويستمر في هذا العناء والعذاب نسأل الله عز وجل أن يخفف عن هؤلاء الإخوة، وعلاج هؤلاء باللجوء إلى الله تبارك وتعالى لأن هذا ما هو إلا تسلط من الشيطان، والشيطان لا ينجيك منه إلا رب العالمين تبارك وتعالى، وكذلك الإنسان لا يخرج نفسه من الشيطان؛ إلا بذكر الله هكذا قال ﷺ ثم عليه أن يعمل بقاعدة مهمة وسهلة وناجعة بإذن الله، قاعدة الفقهاء لا احتياط لموسوس قاعدة نص عليها الفقهاء لا احتياط لموسوس؛ المشروع الذي يحبه الله منك هو ألا تحتاط توضأ مرة، وتنظف مرة، وصلي

....

مرة، ولا تعد مهما شككت، ومهما وسوس لك الشيطان؛ لا تلتفت لو قدرنا في حقيقة الحال أنه هناك خطأ قد حصل أنت معفو عنك؛ جرب أن تعصي الشيطان مره، واثنتان، وثلاث، وأربعة سييأس منك، ويتركك وهذا علاج مجرب لا احتياط لموسوس؛ لا تهتم إذا كنت ابتليت بهذا أو تعرف أحد ابتلي بهذا فانصحه بهذا الأمر لا يحتاط ويجاهد نفسه على ألا يحتاط، لأنه يهرب من شيء يوقعه في سخط الله، إلى شيء يوقعه في سخط الله ما صنع شيئا فالنبي ﷺ «**هلك المتنطعون**» وهذا والله تنطع.

القول الثالث: في الآية هو أن قوله ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ يعني ارفع ثيابك، فإن هذا يطهرها، وهذا ما ذهب إليه بعض أهل العلم كطاووس رحمه الله أن هذه الآية دليل على رفع الثوب، وعدم الإسبال، **والإسبال:** هو أن يترل الثوب إلى الكعب والكعب هو العظم الناتئ البارز بين الساق والقدم، ولا شك أن هذا الصواب أنه محرم ولا يجوز ولو لعدم الخيلاء أما مع الخيلاء فإنه أعظم، وأشنع وأشد تحريما، أما بمجرده فالصواب أنه محرم والنبي ﷺ أطلق فقال ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار فعليك أن تحذر يارعاك الله من ذلك الأمر.

والمقصود أن قوله ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ على هذا التفسير يكون بتطهيرها برفعها لأن الإسبال مظنة لورود النجاسة، ولذلك في صحيح البخاري لما دخل شاب على عمر رضي الله عنه لما طعن وذكره بما من الله عز وجل عليه من الفضائل، وذكره بصحبة النبي ﷺ وجهاده وعدله إلى آخره، قال عمر رضي الله عنه لوددت أن ذلك لي كفاف لا لي، ولا علي ثم لما انصرف الشاب لاحظ عمر ﷺ أن ثوبه يكاد أن يمس الأرض فقال علي بالغلام نادوه؛ لاحظ خليفة المسلمين، وهو طعن، وهو على فراش الموت، ومع ذلك ما ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ولا ترك التنبيه على هذه القضية التي هي في نظر كثير من الناس مسألة تافهة فلما دعاه قال: يا غلام أو قال يا ابن أخي ارفع ثوبك فإنه أتقى لربك، وأبقى لثوبك هكذا رواية الجمهور في البخاري وعند بعضهم أنقى لثوبك، وكلاهما صحيح وكلاهما جاء في روايات أخرى خارج الصحيح، والأكثر أنه قال أبقى لثوبك يعني أنه لا يهترئ بهذا الترول والمسح على الأرض أو أنه أنقى لثوبك يعني لا يصاب بشيء من الأوساخ والنجاسات، التي قد تكون على الأرض.

....

قال ﷺ: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ **الرُجز والرِجز**: قراءتان سبعيتان الرُجز والرِجز وكلاهما بمعنى واحد، واختلف العلماء رَحِمَهُمُاللهُ في تفسير الرُجز أو الرِجز، وذهب كثير من أهل العلم إلى أن الرِجز هو الشرك، والأوثان، وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنه، وعن مجاهد، وعن قتادة وعن غيرهم من السلف الصالح، وبذلك تكون هذه الآية نهياً عن الوقوع في الشرك ينهى الله جل وعلا نبيه ﷺ عن الوقوع في الشرك وهو نهي لأمته أيضًا، وذهبت طائفة من أهل العلم إلى أن الرُجز أو الرِجز هو المعاصي وهذا ليس ببعيد عن الأول فالشرك معصية وإن كان أعظم المعاصي على الإطلاق.

قال سبحانه﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ وهذه الآية أيضًا أختلف المفسرون فيها فقيل إن الله جل وعلا أمر نبيه ﷺ ألا يمنن فيستكثر، يعني لا يهدي فينتظر مقابل هذه الهدية هدية أعظم، وهذا من ما نهي عنه النبي ﷺ خاصة، فأما غيره فيجوز له ذلك، لكن هذا في حق النبي ﷺ لا يليق وقال بعضهم أن معنى هذه الآية أنه لا يمن على الناس ببعثته ﷺ فيطلب مقابلا لهذه الدعوة، إنما عليه أن يدعو إلى الله مخلصا في دعوته إلى غير ذلك مما ذكر المفسرون في هذه الآية.

قال سبحانه ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ إما لربك فأصبر يعني لأجل ربك فأصبر لأجل إرادة وجهه والدار الآخرة فأصبر، يعني أخلص صبرك لله أو ولربك يعني لأمر ربك فأصبر وكلا المعنيين متلازمان.

والصبر كما قد علمنا في دروس مضت ينقسم إلى ثلاثة أقسام.

الأول: صبرا على طاعة الله وهذا أعلى أنواع الصبر، **والثاني:** صبرا عن معصية الله، **والثالث:** صبر على أقدار الله المؤلمة، ولا شك أن من أعطي الصبر فقد أعطي أفضل الأشياء، كما في الصحيح ﷺ **«وما أعطي عبدا عطاء خيرًا ولا أحسن من الصبر»**

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد، وبعد العشر عُرِج به إلى السماء، وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة).

يعني في مكة بعد أن أرسل ﷺ أخذ يدعو إلى التوحيد عشر سنين، **(وبعد العشر عرج به إلى السماء وفرضت عليه الصلوات الخمس)** هذا هو الصحيح الله تعالى أعلم في تاريخ المعراج أنه في السنة العاشرة من البعثة والنبي ﷺ عرج به إلى السماء بجسده وروحه وهذا هو الصحيح الذي لا شك فيه وهو الذي هو عليه جماهير أهل العلم أن النبي ﷺ عرج به بذاته بجسده وبروحه ﷺ صعد إلى السماء ونزل عليه الصلاة والسلام، وأما من قال إن هذا كان رؤية منامية يعني المعراج فهذا قول باطل من أقوال أهل البدع، وأما من قال أنه عرج به بروحه ﷺ فهذا قول خاطئ، والصواب أنه عرج به ﷺ بجسده وروحه.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وصلى في مكة ثلاث سنين وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة).

قوله: **(وصلى في مكة ثلاث سنين وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة)** إذا يكون مجموع العهد المكي ثلاثة عشرة سنة وعامة تلك السنين كان النبي ﷺ يدعو فيها إلى التوحيد فحسب إلا ما كان من السنوات الأخيرة فأنه كان يدعو أيضًا إلى إقام الصلاة ﷺ، لكن عامة دعوته في مكة كانت متركزة على قضية التوحيد.

قوله: **(وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة)** ثم ﷺ بعد ذلك بالهجرة إلى المدينة فركز في المدينة عشر سنين وهناك كانت عامة الشرائع والأحكام المتعلقة بالعبادات والمتعلقة بالمعاملات والمتعلقة بأحكام الأسرة وبالحدود إلى غير ذلك، مع أن قضية التوحيد تبقى أيضًا هي القضية الأهم في المدينة، ومن تأمل سيرة وسنة النبي ﷺ أدرك ذلك.

بعد أن ذكر أنه هاجر إلى المدينة عرف لنا الشيخ رَحِمَهُ اللهُ الهجرة.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (والهجرة: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام وهي باقية إلى أن تقوم الساعة، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ وقوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ قال البغوي رَحِمَهُ اللهُ سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين في مكة لم يهاجروا نداهم الله باسم الإيمان والدليل على الهجرة من السنة قوله ﷺ: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطل الشمس من مغربها».

عندنا هنا ثلاث مسائل:

أولًا: تعريف الهجرة: الهجرة في تعريفها العام: هي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام.

عامة النصوص التي جاءت فيها الهجرة يراد بها هذا التعريف الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، ولا شك أن هذا من الأمور الواجبة والدليل على ذلك ما أخبر الله ﷻ من أن هؤلاء الذين لم يهاجروا هم من الظالمي أنفسهم وعاتبهم الله ﷻ ووبخهم على هذا الملائكة عليهم السلام أ لم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم، وهذه الآية ذكر أن مأوى هؤلاء جهنم فيه بيان وعيد للعصاة، وقاعدة أهل السنة في وعيد للعصاة أنه يفهموا من خلال أمرين. أولًا أن العاصي إذا توعد بشيء من عذاب الله أو من غضبه أو حرمانه من الجنة أو دخوله إلى النار أو غير ذلك، يفهم أن هذا نص مطلق جاء تقييده في نص آخر وهو قول الله جل وعلا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ إذن أي نص يمر بك فيه وعيد بالنار ضم إليه ماذا؟ ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، إذن هذه الآية فأولئك مأواهم جهنم إلا أن يشاء الله العفو عنهم؛ لأن النصوص يجب التأليف والجمع بينها فإذا كان هناك نص مطلق ونص مقيد فإننا نحمل المطلق على المقيد.

فالله جل وعلا أخبرنا وهو أصدق القائلين سبحانه أنه قد يغفر لمن يشاء ﷻ من هؤلاء العصاة.

....

الأمر الثاني: أنه لو نفذ الوعيد في حق هذا العاصي فإن هذا الوعيد بدخول النار هو وعيد مؤقت لا مؤبد، يعني سيدخل النار ولكنه ماذا؟ لن يخلد فيها يدخل فيها ولن يخلد فيها كم سيمكث فيها؟ الله أعلم، يمكث مدة يشاءها الله ﷻ ويخرجه يعني هذا العاصي من النار إما بشفاعة أحد الشفعاء أو بمحض رحمة أرحم الراحمين ﷻ.

فما قال جل وعلا في الحديث القدسي وهو في الصحيحين **«شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون وبقيت رحمت أرحم الراحمين»** إذن أي نص كما ذكرت تفهمه من خلال هذين الأمرين أولًا: أنه تحت المشيئة قد ينفذ هذا الوعيد وقد لا ينفذ بحسب مشيئة الله ﷻ ولكن تنبه أيضًا إلى أن طائفة من العصاة لابد أن يعذبوا يعني ليس لك أن تقول يمكن أن يعفو الله عن جميع العصاة، هذا جائز تحت قدرة الله ﷻ، لكن لن يكون بلا لابد من تعذيب طائفة من العصاة لابد، حتى تتحقق أحاديث الوعيد التي جاءت في النصوص، ومنها أحاديث الشفاعة أليس في أحاديث الشفاعة أن النبي ﷺ يحد له ربه حداً من أهل النار فيخرجهم نعم؟ إذا هذا يدل على ماذا؟ على أن هناك عصاة سيعذبون قطعًا، لكن بالنظر إلى كل فردٍ فرد فإنه نقول أنه تحت المشيئة، ولكن هذا لا يعطي الإنسان الأمان فما يدريك أنك مما شاء الله ﷻ العفو عنهم ربما تكون من ما لم يشاء الله العفو عنه.

الأمر الثاني: أنه إن دخل النار فإنه لا يخلد فيها، دخوله دخول مؤقت لا دخول مؤبد، من الذي دخوله مؤبد؟ الكفار، عافاني الله وإياكم من حالهم.

إذن الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام الأصل فيها أنها واجبة سيأتينا بعد قليل الاستثناء، هناك هجرات أو هجرًا تفصيلية أخرى ومن ذلك الهجرة من بلد الخوف إلى بلد الأمان، إذا كان الإنسان يخاف على نفسه أو يخاف على دينه فإنه يجوز له أن يهاجر إلى بلد يأمن فيه على نفسه وعلى دينه ولو كان البلد كافرا، بدليل هجرة أصحاب النبي ﷺ إلى الحبشة والحبشة بالذات أرض إسلام أم أرض كفر؟ أرض كفر لكن هذه الهجرة هجرة ماذا؟ أمان، يطلب فيها الأمان، لأنهم كانوا في مكة لا يأمنون على أنفسهم رضي الله عنهم فمن كان في بلد يضطهد فيها في نفسه في دينه في ماله في أولاده فأنه يشرع له أن يهاجر إلى بلد يأمن فيه على ما ذكر.

....

ذكر العلماء أيضًا الهجرة من بلد المعاصي والبدع إلى بلد الطاعة والسنة ولا شك أن هذه درجتها أقل مما سبق لكنها أيضًا مشروعة ولذلك أفتى مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالهجرة من بلد يظهر فيه سب أصحاب النبي ﷺ، يعني يفشو وينتشر ويعلن بسب أصحاب النبي ﷺ أفتى بأن يهاجر أهل هذه البلد من المؤمنين إلى بلد لا يكون فيه هذا المنكر.

المسألة الأخرى: وهي ما حكم البقاء في بلاد الكفار؟

الأصل أنه لا يجوز لمسلم أن يبقى بين ظهراني الكفار، بل يجب عليه أن يهاجر إلى بلد الإسلام إلى البلد الذي يكون فيه الإسلام ظاهرًا إلى الذي يكون فيه أهله مسلمين إلا في حق من كان يستطيع إظهار دينه فإن الهجرة في حقه تكون مستحبة على ما ذكر الفقهاء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ أما من كان لا يستطيع إظهار دينه ولا الدعوة إلى دينه ولا بيان شرائع الدين وشعائره، فإنه يجب عليه وجوبًا أن يهاجر من هذه البلاد الكافرة إلى بلاد المسلمين مع القدرة، أما الذي لا قدرة عنده أو الظروف الأمنية أو السياسية أو الحدود أو ما شاكل ذلك تمنع فلا يكلف الله إلا وسعها.

وهذا يجرنا إلى تنبيه إلى خطورة المكث في بلاد الكفار يا أيها الإخوان فإن ضريبة ذلك ضريبة عظيمة وقد جرب كثيرًا من المسلمين ذلك فندموا ندما عظيمًا ربما يذهبون لزهرة من زهرات الدنيا وتحصيل المال ورغد عيش ولكن الثمن باهظ الثمن سيكون على أنفسهم، على دينهم، وعلى أولًادهم أيضًا.

فإنهم سينشئون في بيئة غير صالحة وبيئة غير مناسبة إطلاقًا لا يسمعون ذكر الله ولا يرون المساجد ولا يسمعون الآذان ولا يرون أخوانهم المسلمين ولا يسمعون الكلام الحق، أين المقارنة بين بلاد الكفار التي ترى فيها الصلبان وتسمع فيه النواقيس ويرى فيها المنكر عيانا من بلاد الإسلام مهما كان فيها من نقص ومهما كان فيها من تقصير، المقصود عنا أن المسلم يتقي الله ﷻ في نفسه وأن يتقي الله ﷻ فيمن تحت يده، ويهاجر إلى بلاد المسلمين ما استطاع.

مسألة ثالثة: قد يقول قائل ماذا نصنع كي نجمع بين قوله ﷺ «**لا هجرة بعد الفتح**» وبين قوله ﷺ: «**لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة**» الحديث الذي سمعناه وهو حديث صحيح مخرج عند أبي داوود وأحمد وغيرهم في حديث قال ماذا؟ «**لا هجرة بعد الفتح**» يعني بعد فتح مكة، ومرة قال «**لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة**» ومتى تنقطع التوبة؟ إذا طلعت الشمس من مغربها يعني كان

....

هذا في آخر الزمان، يعني سيستمر حكم الهجرة مشروعا إلى آخر الدنيا إلى آخر الزمان، فكيف الجمع بين الحديثين.

الجمع بارك الله فيكم أن الهجرة الواردة في قوله ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح**» هجرة خاصة يعني الهجرة إلى مكة على وجه الخصوص وذلك أن الهجرة قد تمت وانتهت وفتحت مكة، فأصبحت الهجرة من مكة إلى المدينة الهجرة من مكة إلى المدينة انتهت، لأن مكة أصبحت ماذا؟ أصبحت تحت حكم المسلمين فتحها النبي ﷺ فما معنى أن يهاجر أهلها منها إلى المدينة، لكن قوله ﷺ: «**لا تنقطع الهجرة**» هذه مسألة عامة هجرة من كل بلد كفري إلى بلد إسلامي وبهذا تجمع بين الحديثين ولعل في هذا القدر كفاية والله تعالى أعلم.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (فلما استقر في المدينة أُمر ببقية شرائع الإسلام مثل: الزكاة، الصوم، والحج، والآذان، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من شرائع الإسلام، أخذ على هذا عشر سنين، وتوفي صلاة الله وسلامه عليه ودينه باق، وهذا دينه، لا خير إلا دل الأمة عليه).

لا يزال الحديث متصلاً بالأصل الثابت من الأصول الثلاثة ألا وهو: معرفة نبينا محمدٍ ﷺ.

وذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أن النبيﷺ لما هاجر إلى المدينة أمر ويصح أن تقول أُمر ببقية الشرائع، ولا شك أن أكثر الأحكام الشرعية المتعلقةِ بالعبادات، والمعاملات، والحدود، وما إلى ذلك، إنما شُرع بالمدينة، لما استقر النبيﷺ فيها.

ومع ذلك إن هذا لا يعني أن النبيﷺنحّى آيات التوحيد، والدعوة إليه، حاشى وكلا، بل كان النبيﷺ مع هذا مجتهداً في بيان التوحيد، وتعليمه، وبيان ضده، والتحذير منه، وبعد مُضي المدة التي شاء الله في حياة النبي ﷺ وهي في المدينة عشرُ سنين توفاه الله جل وعلا، توفي ﷺ فكانت هذه من أعظم المصائب على هذه الأمة، وكل مصيبةٍ دونه ﷺ فهي جلل هينة، فإن هذا النبي الكريم ﷺ حقه عظيم وشئنه في نفوس المسلمين عظيم فإن الله جل وعلا قد هدى به من الضلالة، وجمع به من الفرقة، وأغنى به من العيلة، وعز الله به من الذِلة، فالمنة به عظيمة، ونعمة الله عَزَّوَجَلَّ به كبيرة.

فلما توفي النبي ﷺ كانت أعظم المصائب حتى إنه يوم وفاته أظلم من المدينة كل شيء كما قال أنسرَضِيَ اللهُ عَنْهُ ولما قدم ﷺ أشرق منها كل شيء، والنبيﷺ قد مات قطعاً بنص القرآن، وبإجماع الصحابة والمسلمين، والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ وفي صحيح البخاري في ذكر القصة الأليمة، قصة وفاته ﷺ وفيها أن أبي بكررَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما جاء من خارج المدينة، ودخل على النبي ﷺ وكشف الغطاء عنه وقبله، وقال: طبت حياً وميتاً يا رسول الله، ثم خرج فخطب في المسلمين، وقال: تلك الجملة الخالدة العظيمة، قال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حياً لا يموت، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾

....

فأصبح كل من في المدينة من الصحابة يردد هذه الآية، فهذا هو الحق الذي لا مِرية فيه، وأما من قال من بعض المخالفين للحق، ومن أهل الغلو إن النبي ﷺ حياً في قبره حياة دنيوية، كحياته لما كان فوق الأرض فهذا قولٌ تُكذبه الشريعة، وتُكذبه العقول والفطر السليمة، فإن هؤلاء إن كذّبوا أن يكون النبي ﷺ قد مات أو يموت فقد كذّبوا كتاب الله ﷻ.

وإن قالوا: إن أصحاب النبيﷺ قد وضعوه في التراب وهو حيٌ حياة دنيوية، فإن هذا يقتضي أن أصحاب النبي ﷺ قاطبة، ثم الأمة إلى اليوم قد كفرت بالله العظيم ﷻ.كُل الأمة مرتدة إذ الصحابة وضعوه في التراب، وهذه إهانة عظيمة له ﷺ كيف يوضع ﷺ في التراب وهو حي، ثم بقية الأمة رضيت بهذا فتكون قد رضيت بالكفر، وبالتالي فتكون هذه الأمة كلها مرتدة، أرأيت لو أن إنسان في حياة النبي ﷺ وضع على رأسه حفنة من تراب ألا يُعد هذا إهانة؟ بلا والله إهانة عظيمة ويكفر من فعل هذا، فالنبيﷺ حقه التعظيم، وحقه التوقير، فكيف يُقال أنه وضع ﷺ في هذا المكان الضيق تحت الأرض، وأُهيل عليه التراب وتُركدث، سبحان الله العظيم، أين تذهب عقول هؤلاء؟.

وأن أصحاب النبي ﷺ الذين هم أعظم الناس حباً له ما أخرجوه إذا كانوا أخطئوا، وإنهم حينما كانوا يختلفون، لماذا ما كانوا يأتون إلى القبر ويسألون النبيﷺ؟، قد وقع بين الصحابة ما وقع من خلافٍ علمي بل ما هو أكبر من ذلك، بل وقع بقدر الله ﷻ بينهم اقتتال، ومع ذلك ما جاءوا إلى قبر النبي ﷺ وسألوه، وقالوا: يا رسول الله دُلنا على الحق ماذا نصنع في هذه الخطوط المدلهمة.

إذن هذا يدل يا رعاك الله على أن من توهم أن النبي ﷺ حي في قبره حياة دنيوية حياة طبيعة كالتي كان عليها وهو على ظهر الأرض، وبالتالي كل الأحكام التي تتعلق بهذه الحياة تنسحب أيضاً حال كونه ﷺ في قبره فلا شك أنه قد أخطأ خطأً عظيما.

قد يقول قائل: ألستم تقولون إن الشهداء أحياء؟ الجواب نعم بنص القرآن: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فيقول: النبي ﷺ أرفع درجة من الشهداء، وبالتالي هو حي، حيٌ في قبره، والجواب عن هذا أننا لا نُنكر حياة النبيﷺ في قبره، بل من أنكر حياة النبيﷺ في قبره، بل من أنكر حياة كل الأموات في قبورهم فقد كذب الكتاب والسنة، فإن الأدلة والإجماع قد انعقدت على أن جميع الأموات يحيون في قبورهم، لكن انتبه! ما

....

هي هذه الحياة؟ الجواب هي حياةٌ برزخيةٌ الله أعلم بها، ليست قطعاً هي الحياة الدنيوية التي نعرفها، هذه حياة أخرى ولها تعلقات أخرى ولها أحكام أخرى هي بالنسبة لنا غيب لا نعرف عنها شيئاً.

وقد ذكرنا لعلكم تذكرون تعلقات الروح بالبدن في درس ماض وقلنا: **إن للروح بالبدن خمسة تعلقات:** انتبه لهذه التعلقات فإنها تكشف لك بعض الإشكالات التي قد تطرأ عليك:

أولًا: تعلق الروح بالبدن حال كون الإنسان جنيناً في بطن أمه فإنه بعد أن يمضي عليه أربعون، ثم أربعون، ثم أربعون يعني بعد أن يمضي عليه مائة وعشرون يوماً يُرسل الله ﷻ إلى هذا الجنين الملك وينفخ فيه الروح، هذا هو التعلق الأول.

التعلق الثاني: تعلق الروح بالبدن بعد خروج الإنسان من بطن أمه، يعني هذه الحياة التي نعيشها الآن وهي التي يتعلق بها التكليف.

التعلق الثالث: تعلق الروح بالبدن حال النوم فإنها متصلة بالبدن من وجه، ومنفصلة من وجهٍ أخر.

الحالة الرابعة: تعلق الروح بالبدن في قبره، في قبر الإنسان يعني في الحياة البرزخية، وذلك أنه ثبت في حديث البراء ﷺ في مسند أحمد وغيره بإسناد صحيح عن النبي ﷺ لما ذكر حال الميت إذا قُبر وتولى عنه أصحابه قال ﷺ: «**فتُعاد روحه في بدنه**»، ماذا قال؟ فتُعاد روحه في بدنه، ولكن هذا العود عودٌ ماذا؟ أخر ليس هو التعلق السابق، بدليل أنه في الحياة الدنيوية لا يُمكن للإنسان أن يعيش بلا هواء أليس كذلك؟ يعني لو قُدر أنه عادت له روحه فأصبح كما لو كان على ظهر الأرض، سيمكث مدة قصيرة ثم يموت أليس ذلك؟ لانتهاء الأكسجين الذي به الحياة لكن هو سيستمر على هذه الحياة البرزخية إلى قيام الساعة.

إذن هي حياة ماذا؟ أخرى لها تعلقات وكيفيات مختلفة، ليست هي الحياة التي نعيشها.

التعلق الخامس: تعلق الروح بالبدن عند البعث وهذا تعلقٌ آخر، يقول النبي ﷺ كما في حديث كابد بن مالك ﷺ: «**إنما نسمة المؤمن لطائر يعلق في شجرة الجنة**» يعلق يعني يأكل ويرعى إنما نسمة المؤمن يعني روحه طائر يعلق في شجر الجنة «**حتى يرجعه الله تبارك وتعالى إلى جسده يوم القيامة**».

....

يعني هذه المرحلة البرزخية تكون الروح فيها متصلة بالبدن، وفي نفس الوقت إذا كان مؤمناً فإنها تُنعم في الجنة، والكيفية الله أعلم بها.

ثم هناك عودٌ آخر متصل بالبدن ليس هو الحياة البرزخية، وهذه ما يقول العلماء أكمل التعلقات؛ لأنه يرتبط بها الحياة الأبدية إما في نعيمٍ وإما في عذاب، نسأل الله السلامة من العذاب.

المقصود: أن دعوى من يقول إن النبي ﷺ حيٌّ حياة دنيوية في قبره وبالتالي فإنهم يدعوه ويستغيثوا به ويقول: أنا أدعو حياً لا أدعو ميتاً لا شك أن هذا القول غاية في الضلال، فتنبه! يارعاك الله نعم.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وتوفي صلاة الله وسلامه عليه، ودينه باقٍ وهذا دينه، لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها عنه، والخير الذي دلها عليه التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذرها عنه الشرك، وجميع ما يكره الله ويأباه).

المسلمون جميعاً ونحن منهم بحمد الله نشهد أن النبي ﷺ ما لحق بالرفيق إلا وقد بَلغ البلاغ المبين، فما من خير إلا وقد حث عليه وما من شر إلا وقد حذر منه، قال ﷺ كما في صحيح مسلم: «**ما من نبيٍ بعثه الله إلا كان حقاً عليه أن يدُل أمته على خير ما يعلمه لهم، وأن يحذرهم من شر ما يعلمه لهم**».

إذا كان هذا في حق كل نبي فكيف بسيد الأنبياء وإمام المرسلين ﷺ إذن ما ثمة خير إلا وقد بينه النبي ﷺ.

إذن الدين قد اكتمل قُبيل وفاة النبيﷺ يجب أن نعتقد، ويجب أن نوقن ويجب أن نؤمن أن النبي ﷺ ما مات إلا وقد اكتمل دينه ﷺ ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ هذه القضية يجب أن تكون عقيدة مستقرة في نفس كل مسلم، أن الدين كامل، وماذا نستفيد إذا علمنا أن الدين كامل؟ الجواب: نستفيد فائدة كبرى، الكامل لا يريد الزيادة أليس كذلك.؟ كل شيء كامل فإنه لا يقبل الزيادة، أرأيت لو كان عندك إناء ماء ثم وضعت فيه الماء حتى اكتمل، هل يمكن أن تزيد عليه ماءاً؟ لا يمكن لأنك لو زدته أصبح هناك فساداً، انسكب الماء.

إذن متى ما كنت تعتقد أن النبي ﷺ قد أكمل اللهﷻ به الدين وبلغ البلاغ المبين، وتوفي ﷺ ولا خير إلا وقد بينه، إذن لا مجال للزيادة، والزيادة هي المُحدثات، والمُبتدعات، فمتى ما زدت على دين الله ﷻ فإنك بلسان حالك كأنك تتهم النبي ﷺ بأنه ما بلغ البلاغ المبين، أو علم الخير وكتم بعضه، وهذه خطورة عظيمة، تدُلك على أن لازم البدعة لازمٌ خطير، المعنى: لو أن إنسان قال: هذه عبادة أو هذا خير يُقرب إلى الله ﷻ قيل له هذه ما عليها دليل ما أخبرنا بها النبيﷺ قالوا: ولكنها خير، وربما يقولوا لك: هي بدعة حسنة، بدعة ماذا؟ بدعة حسنة لا بأس نحن نتقرب إلى الله ﷻ بهذا الذِكر بهذه الصلاة، بهذا الاحتفال، بهذا بهذا، وهي خير عمل صالح....لسان حالك كأنك تقول أحد أمرين: إما أن النبي ﷺ ما علم الحق، وعِلمته أنت، يعني فاته ﷺ شيءٌ من الخير وعلمته أنت، وبت تتهم النبيﷺ بالجهل بالله وبحقوقه، مع أنه يقول ﷺ كما في البخاري وغيره: «**أنا**

....

أعلمكم بالله وأشدكم له خشية»، أو أن النبي ﷺ علم أن الخير في هذا الأمر ولكنه كتم وما بلغ، وهذا اتهام له ﷺ بالخيانة، وأي شيءٌ أعظم من هذا.

إذن كل خير تظنه وليس عليه طابع النبوة، وليس عليه ختم النبوة، وليس عليه أثارة من أثار النبوة، فاعلم أن لا خير فيه، ولو كان فيه خير لبينه النبيﷺ قطعاً ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ ولعلكم تذكرون أثراً جميلاً عن الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولا بأس بإعادته لأنه أثرٌ مهمٍ ومفيد، الإمام مالك إمام هذه البلدة الطيبة جاءه رجل وقال: أُريد أن أُحرم فمن أين أُحرم، يريد أن يذهب إلى مكة للنسك حج أو عمرة، يسأل من أين يُحرم؟ فقال له الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أحرم من ذي الحليفة ميقات النبيﷺ، فقال: ولكني أريد أن أُحرم من المسجد، يعني النبوي هذا المسجد، الرجل فكر وقدر بعقله ورأى أن المسجد النبوي أفضل من ذي الحليفة، إذن لما لا أحرم من ماذا؟ من المسجد النبوي أفضل من أن أُحرم من ذي الحليفة، قال: فإني أريد أن أُحرم من المسجد، قال: لا تفعل، قال: فإني أُريد أن أحرم من المسجد، أصرّ الرجل على رأيه، قال الإمام مالك: "لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة"، فقال الرجل: وأي فتنة هذه؟ إنما هي خطوات قليلة من ذي الحليفة وأُحرم قبل ذلك من المسجد النبوي وبالتالي فتكون هناك خطوات أزيدها وأنا محرم فيكون لي أجر لماذا تضخم الأمر يسير، فتنة سبحان الله الفتنة انقلاب القلب والرجوع من الهداية إلى الضلالة، نسأل الله العافية، أنت ضخمت الأمر أيها الإمام، الناس يأخذوا الموضوع بهذه السهولة ويقول الأمر يسير لماذا هذا التشدد؟ بدعة حسنة لا بأس بها، فقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأي فتنة أعظم من أن تظن أنك سبقت إلى خير لم يسبق إليه رسول الله ﷺ وإن الله تعالى يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ فما لم يكن بالأمس ديناً لا يكون اليوم دينا، ما أحسن هذه الكلمة، يا ليتها تُعلق أما ناظري كل مسلم دائماً يتأملها ما لم يكن بالأمس متى أمس؟ في عهد النبي ﷺ ما لم يكن هذا الأمر يُتعبد به لله في عهد النبيﷺ فإنه لا يمكن أن يكون اليوم دينا.

إذن اعتقاد كمال الدين، اعتقاد في غاية الأهمية ولو أن المسلمين اعتقدوا هذا الاعتقاد باعتقاد يظهر على أعمالهم وأقوالهم لانتفت كثير من المحدثات والمبتدعات بين المسلمين....

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بعثه الله إلى الناس كافة وافترض طاعته على جميع الثقلين الجن والإنس، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ وأكمل الله به الدين).

هذه مسألة سبق الحديث عنها وهي من المعلوم من الدين بالضرورة وهي عموم بعثة النبي ﷺ، فالنبي ﷺ بُعث لجميع الثقلين يعني لجميع الإنس والجن، مُنذ بعثته ﷺ وإلى قيام الساعة، وهذا كما ذكرنا قضية معلومة من الدين بالضرورة، من أنكرها فهو كافر بالله ﷻ والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ جميع الناس إني رسول الله إليكم جميعا فهذا تأكيد بعد تأكيد، تأكيد بعد تعميم يدل على عموم بعثة النبي ﷺ، وأن جميع البشر منذ بعثته ﷺ، أن يتبعوه وأن يطيعوه، وأن يتعبدوا لله ﷻ وفق شرعه ﷺ، قال ﷺ كما في صحيح مسلم: «بُعث إلى الأحمر والأسود» يعني جميع الناس، وكذلك الجن، الجنُ فرض الله ﷻ عليهم عبادته سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ ولذلك ذهبوا يتعلمون ويستمعون إلى النبي ﷺ، ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾ قالوا لقومهم يا قومنا أجيبوا داعي الله وهو النبي ﷺ فهو مبعوثٌ إليكم.

إذن النبي ﷺ مبعوثٌ إلى الجن والإنس كافة.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (**وأكمل الله به الدين والدليل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ نعم كما سبق.**

والدليل على موته ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾

انتقل المؤلف رَحِمَهُ اللهُ بعد الكلام عن موت النبيﷺ إلى الكلام عن ما عن شيءٍ يتعلق باليوم الآخر، وأنه كما أن النبي ﷺ قد مات فالناس أيضاً جميعاً يموتون، وبعد هذا الموت هناك حياة أخرى.

الناس إذا ماتوا فإنهم يُبعثون وقد ذكرنا بما يتعلق بمباحث اليوم الآخر على وجه الإيجاز في درسٍ ماضٍ، والبعث هو إحياء الله ﷻ الموتى، وإخراجهم للحساب والجزاء، وأول من تشق عنه الأرض نبينا محمد ﷺ كما سبق في الحديث الصحيح، أول من يقوم من قبره هو هذا النبي الكريم ﷺ، والناس إذا قاموا من قبورهم....أنهم حفاة عراة غرلٌ، حفاة بلا نعال، وعراة بلا ملابس، وغُرل يعني غير مختونين كما بدأنا أول خلقٍ نعيده، ثم يكسون بعد ذلك وأول من يكسى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم نبينا محمدﷺ.

فإذا بُعثوا من قبورهم كان بعد ذلك الحشر، حشروا إلى أرض المحشر حيث يقفون هناك المدة الطويلة ويكون عليهم من الكروب الشيء العظيم حتى يأذن ﷻ يبدأ الحساب. وأرض المحشر كما قال النبيﷺ: «**أرضٌ بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلمٌ لأحد**»، وبعد حشرهم وطول المقام بهم، وقُرب الشمس منهم، وعِظم الكرب عليهم، ....الهون العظيم...، بعد ذلك يشفع النبي ﷺ عند ربه ويسجد سجوداً طويلاً يحمد الله ﷻ فيه بمحامد لم يكن يُحسنها في حياته، ثم بعد ذلك يكون الحساب.

....

والحساب كما قد علمنا أيضاً فيما مضى، أنه إطلاع الله ﷻ العباد على أعمالهم وتوقيفهم عليها وتذكيرهم ما نسوه منها، والحساب ينقسم إلى قسمين: عرض، ومناقشة.

أما العرض فهو الحساب اليسير، نسأل الله ﷻ أن يُحاسبنا حساباً يسيرا، وهذا من دعاء النبي ﷺ الذي ينبغي عليك أن تحرص عليه، اللهم حاسبني حساباً يسيرا، في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ **«من نوقش الحساب عُذب»** فقالت: رضي الله عنها أليس قد قال الله تعالى فسوف يحاسبُ حساباً يسيرا، يعني استشكلت كيف أن كُل من يُناقش الحساب سوف يُعذب فهنا ماذا؟ كلية تدل على العموم، مع أن من الناس من سوف يُحاسب ماذا؟ حساباً يسيرا، كما في القرآن فاستشكلت رضي الله عنها فقال النبي ﷺ: **«ليس ذلكِ إنما ذلكِ العرضُ ومن نوقش الحساب عُذب، وفي رواية هلك»**، ثم أخبرت رضي الله عنها أنها كانت تسمع النبيﷺ بعد ذلك يدعوا في صلاته اللهم حاسبني حساباً يسيرا.

إذن ثمة عرض وثمة مناقشة:

العرض: هو لمن أراد اللهﷻ رحمته، نسأل الله أن نكون منهم، هو أن تُعرض الذنوب على العبد ثم يُسامح عليها تُعرض عليها أعماله ويقال له عملت كذا، عملت كذا، عملت كذا، والعبد لا يجد إلا أن يُسلم ويُقر، أعرف ربي، أعرف ربي، ثم يسامحه الله ﷻ عليها هذا هو الحساب اليسير يتجاوز الله ﷻ عنه.

أما المناقشة: فإنها الإحصاء والاستقصاء وعدم المسامحة، إحصاء الأعمال واستقصائها وعدم المسامحة على شيءٍ منها، ومن الذي ينجوا إذا حوسب هذا الحساب يا إخواني، والله إنه سيهلك قطعاً الذي يُحاسب على كل واجبٍ أوجبه الله هل أدها كما أمر الله أم لا؟ وسوف يحاسب على كل ذنبٍ عمله، وسوف يُحاسب على كل نعمة......على تقصيره لحسناته، من الذي سيغلب؟ أجيبوا! والله سيغلب التقصير قطعاً، إذا استقصى الله ﷻ في الحساب و لم يتجاوز و لم يعفوا و لم يُسامح سبحانه فإنه الهلاك القطعي، والله المستعان.

إذن نسأل اللهﷻ أن يحاسبنا حساباً يسيرا، وهذه المناقشة لمن لا يشأ الله ﷻ العفو عنه وعدم المسامحة عليه، وبعد المحاسبة تكون والله تعالى أعلم الموازنة يعني يكون الوزن في الميزان، فيُحاسب الإنسان حتى تُعرف الأعمال ثم بعد ذلك توزن، ويكون مصير الإنسان بحسب ما قد تنتجه هذه

....

الموازنة فحسناته في كِفة، وسيئاته في كِفة، ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾

وبقية المباحث المتعلقة بهذا الموضوع قد سبق بيانها، نعم، أعد.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (والناس إذا ماتوا يبعثون والدليل قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾

لعلها تذكرنا بشيء درسناه في الدرس الأول تقريباً ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾

لما تكلمنا على حكمة الخلق قلنا: أن الله عَزَّ وَجَلَّ خلق الخلق للحق، والحق يتضمن الحكمة من خلق العباد، **والحكمة من خلق العباد أمران:**

- غاية مُرادة منهم.
- وغاية مُرادة بهم.

تذكرون؟ الغاية المُرادة منهم ما هي؟ عبادة الله، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ لاحظ اللام هنا لام الحكمة لام التعليل، إلا ليعبدون الغاية المُرادة بهم الجزاء بالإحسان والفضل، أو بالعدل كما قال جل وعلا: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ثم قال: ليجزي لاحظ اللام هنا أيضاً للتعليل ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾، فالله عَزَّ وَجَلَّ خلق السموات والأرض وما فيهما لتحصل الغاية المُرادة بالعباد ليجزي الذين أساءوا بما عملوا وهذا جزاءه بالعدل سبحانه، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى وهذا جزاءه سبحانه بالفضل.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن كذب بالبعث كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾

البعث لاشك أن من أنكره وأنكر أن تكون هناك حياة أخرى بعد هذه الحياة هي حياة كاملة أبدية لا نهاية لها فلا شك في كفره.... لا يزعم هذا الزعم إلا الكفار.

وقضية إنكار البعث أعظم ما أنكره المشركون على الإطلاق بعد التوحيد، أهم قضية وأشد قضية بالغوا في إنكارها بعد توحيد الله ﷻ هي قضية البعث، ولذلك يقول الله ﷻ عنهم: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ يعني أشد الأيمان وأشد الأقسام عندهم أقسموها على أي شيء؟ ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ فقضية عجيب أنهم تحمسوا لها هذا التحمس حتى كأن هناك من مات ثم عاد إليهم وأخبرهم أنه لا بعث، وهذا دليل على ضعف عقولهم، فأي شيءٌ يُنكرون أو يستبعدون لأجله أن يكون هناك بعث، ولذلك اللهﷻ خاطب العقول في شأن هذه القضية بأدلة واضحة بين أعيُنهم لماذا تستبعدون، ولماذا تستكثرون؟ أن الله ﷻ يبعث الناس بعد الموت.

أولًا: الذي خلقكم من العدم قادر على أن يعود نشأتكم نشأت أخرى وأن يحيكم، أليس كذلك؟ لا شك أن الابتداء أصعب من الإعادة بعد الوجود، وإن كان الكل على اللهﷻ هيناً.

الأمر الثاني: الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يعيد هذا الإنسان، ما هو هذا الإنسان أمام هذا الملكوت العظيم؟ أليس الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يعيد الإنسان بعد موته؟ بلا والله.

الأمر الثالث: الذي أخرج من التراب النبات قادر على أن يعيد الإنسان بعد موته، ولذلك الله جل وعلا نبه على هذه الأمور الثلاثة في سياقٍ واحد قال جل وعلا: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ أُنظر إلى هذا الاستفهام الذي يتضمن الإنكار، بل السخرية والاستهزاء، من يُحي العظام وهي رميم فكان الرد من ربنا جل وعلا: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾

....

هذا دليل النبات، ثم قال: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ﷻ.

إذن قضية البعث قضية معقولة ومقبولة في العقل، بل الناس شاهدوا بأعينهم وتواتر النقل بذلك جيلاً عن جيل أن الله بعث من كان ميتًا وفي سورة البقرة فقط لو تأملت عدة قصص في ذلك، وما أنكر المشركون الذين كانوا يُنكرون أشد الإنكار قضية البعث ويكذبون النبي ﷺ ومع ذلك ما قالوا هذه القصص مكذوبة هم يعلمون بأن الأمم تتناقل مثل هذه الأخبار جيلاً بعد جيل، فالله ﷻ قد أخبر ﷻ عن قوم من الناس ماتوا ثم أحياهم الله ﷻ، بل أخبر الله ﷻ عن حِمار مات ثم أحياه الله، أخبر عن شخص مات وأحياه الله بعد مائة سنة.....

في قصة إبراهيم عليه السلام قُطعت ووزعت بين الجبال ثم أحياها الله ﷻ، أخبر سبحانه عن موت ذاك الرجل وحِماره أيضاً، فإذاً هناك إنسان وهناك جماعة من الناس، وهناك حيوانات، وهناك طيور، وهذه فقط في سورة واحدة فكيف بغيرها من السور.

إذن هذه قضايا واقعية الذي قدر على الإعادة ﷻ في هذه الحياة الدنيا قادرٌ على أن يُعيد في الدار الآخرة، فلماذا...؟ والمبالغة في الكفر، نسأل الله السلامة والعافية.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأرسل الله جميع الرُسل مبشرين ومنذرين والدليل قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾.

وأولهم نوح عليه السلام، ....مرسلين والنبيين .... البشارة والنِذارة.

البشارة: في الأعمال الصالحة لهم الثواب عليها.

وأما النذارة: لمن عمل السيئات أن الله تعالى يُعاقبه عليها، وهذان أمران يجمعان للمسلم الخوف والرجاء فهو يرجوا من البشارة ويخاف مما أُنذر من كلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام....الذي نستقي منه هذه المُبشرات وهذه المُنذرات، نعم.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وأولهم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وأخرهم محمد ﷺ هو خاتم النبيين والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾

نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وهذا أيضاً من الأمور التي لا شك فيها، واستدل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ﴾ فجمع الله عَزَّ وَجَلَّ في هذه الآية بين ذكر آخر الرُسل وأول الرُسل عليهم الصلاة والسلام جميعاً وأصلح من ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في ذكرِ قصة الشفاعة العظمى، ومن ذلك أن الناس حينما يطول بهم المقام يقول بعضهم إلى بعض هلموا نستشفع إلى ربنا فيذهبون إلى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ويقولون: أنت أبو البشر خلقك الله بيده اشفع لنا عند الله ألا ترى ما نحن فيه، فيعتذر عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويذكر ذنبه ثم يُرشد الناس فيقول لهم: اذهبوا إلى نوح أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فهذا نصٌ على أن أول الرُسل من؟ نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

طيب آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كان نبيا، أما أول الرُسل فنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكل أمة بعث الله إليهم رسول من نوح إلى محمد، يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

الله جل وعلا عدلٌ لا يظلم ويحب الإعذار ﷻ، ولذلك أرسل في كل أمة وفي كل جيل من الناس وفي كل إقليم من الأرض بعث الله ﷻ رسولاً يبلغ دينه وتقوم به الحجة على الناس.

ولقد بعثنا في كل أمة لاحظ العموم في قوله ولقد بعثنا في كل أمة، ويقول جل وعلا: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ فالله جل وعلا بعث إلى أهل الأرض كافة في جميع الأجيال رُسلاً يبلغون دين الله تبارك وتعالى.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: معنى الطاغوت ما تجاوز به العبد حتى ومن معبود أو متبوع أو مطاع، والطواغيت كثيرون).

هنا بيان ما هو الذي بعث الله به الرُسل، فاستدل بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ وقلنا هذه الآية فسرت لنا الكلمة العظيمة وهي: لا إله إلا الله، فقوله أن اعبدوا الله ماذا يُقابلها في كلمة التوحيد؟ إلا الله، واجتنبوا الطاغوت يُقابلها في كلمة التوحيد لا إله، إذاً هي دالة على النفي والإثبات.......النفي لوحده أنه ليس بتوحيد، إنما التوحيد مجموع النفي والإثبات من قال لا إله إلى يوم الدين أسلم وحّد؟ لا، ما قال إلا الله أو قال: الله إله...أسلم وحّد؟ لا حتى يجمع بين الأمرين فالنفي وحده ليس بشيء وبالتالي ليس بتوحيد لأنه عدم.

والإثبات وحده لا يمنع المشاركة فالله إله ويجوز أن يكون هناك إلهٌ غيره إذا قلت فقط الله إله لكن متى يكون التوحيد؟ إذا قُلت لا إله إلا الله، تنفي جميع الآلهة، وتثبت الألوهية لله تُبغضها، فمن أحبها يقول أنا ما أعبد إلا الله لكن يعجبني سجود الإنسان إلى الصليب، ما رأيكم هذا؟ منظر جميل أحبه هل هو مسلم؟ ليس بمسلم، لماذا؟ لأنه ما كفر بالطاغوت، يجب أن تُبغض كل عبادة تراها من دون الله سبحان الله.

بعض الناس لا يتحرك فيه شيء إذا رأى من يدعوا غير الله أو يسجد على القبور، أو يطوف، أو يذبح لها، اتقي الله يا عبد الله، لابد أن تكفر بالطاغوت يجب أن تُبغض عبادة غير الله ﷻ، الأمر الثالث أن تعتقد أنه كافر كل من عبد غير الله فهو كافر، وأيضاً تعاديهم في الله، الحب في الله والبُغض في الله أوثق عرى الإيمان، كما قال النبيﷺ، والله جلا وعلا يقول: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾

وأعيد ما ذكرته سابقاً هذه القضية قضية عقدية لا تُسامح في اعتقادها في قلبك أما المعاملة فشأن خر المعاملة فيها تفصيل.

فالمحارب للإسلام والمسلمين له حُكم، والمسالم للإسلام والمسلمين له حُكم، لا حرج في التعامل معه والأخذ، والإعطاء، بل والبر به، ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ إذن هذا هو الكفر بالطاغوت.

انتقل الشيخ بعد ذلك إلى بيان **ما هو الطاغوت:** طاغوت: فعلوت على وزن فعلوت وهذا الوزن في اللغة يدل على المبالغة، طاغوت من الطغيان، والطغيان هو مجاوزة الحد إنا لما طغى الماء يعني تجاوز حده خرج عن مكانه، فالطاغوت فيه معنى المبالغة والخروج عن الحد، وعرفه بن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعريفاً جامعاً مانعاً كما أورد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأن صور الطواغيت لا تتناهى لكن اضبط ذلك بحدٍ جامعٍ مانع، قال: **(ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع)**، تجاوز به العبد حده، الله جل وعلا جعل لكل شيءٍ حداً فمتى ما أتى هذا الإنسان وتجاوز بشيءٍ ما هذا الحد الذي وضعه الله عَزَّ وَجَلَّ وخرج به إلى واحد من هذه الثلاثة فإنه قد اتخذ هذا طاغوتاً أصبح هذا المتخذ طاغوتاً.

قال: **(من معبود)** من هنا بيانية، معبود وهذا يشمل كل عبادة لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويشمل كل معبود سواه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وأصبح هذا المعبود بالنسبة لعابده طاغوتاً يعني هو طاغوته يعني هو معبوده، لأنه تجاوز به حده، حده أن يكون عبداً وهو اتخذه معبوداً إذاً تجاوز به حده، قال: أو متبوع أو مطاع.

المتبوع: في حق العلماء، والمطاع: في حق الحكام والأمراء، فالذي يتجاوز بالمتبوع من العلماء حده، وحده هو أن يُطيعه في طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ وأن يستجيب لأوامر الله التي يرشده إليها، فمتى ما قدم قوله على قول الله ورسوله ﷺ فقد أصبح في حقه طاغوتاً.

لو قال له هذه العالم: الخبز حرام، والخمر حلال، فأطاعه، ماذا أصبح الآن؟ أصبح بالنسبة لهذا الإنسان طاغوتاً تجاوز به حده، فليس له أن يأخذ منه إلا ما يدور في فلك الشريعة أما أن يُحل الحرام أو يُحرم الحلال فهذا أصبح مجاوزة في الحد فهو في حقه طاغوت، أو في حق الأمراء أن يشرع له شريعة، ويأمره بالتزامها تُضاهي شريعة الله عَزَّ وَجَلَّ ويجعل فيها المُحرم جائزا، ويجعل فيها المُنكر معروفاً أو العكس، ويلتزم بهذا التزاماً كالتزام دين الله عَزَّ وَجَلَّ فإن هذا يعتبر في حقه، في حق من

قال رَحِمَهُ اللهُ: (الطواغيت كثيرون ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله).

أطاع واستجاب قد اتخذ طاغوتا وهو المطاع، فإن الواجب أن تكون الطاعة لجميع الناس، ولمن لهم طاعة كولاة الأمر في طاعة الله ﷻ فقط ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

إذاً كل من تجاوز حده في حق هذه الأمور الثلاثة فإنه يُعتبر طاغوتاً في حق هذا الإنسان.

وذكر الشيخ هنا رؤوس الطواغيت ذكر منهم خمسة، خمسة رؤوس، نتعرف عليهم الآن، نعم.

قوله: **(الطواغيت كثيرون ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله)** هذا أول الطواغيت وأكبر الطواغيت، وكُل كُفر ومعصية ما كانت إلا من هذا الشيطان، واتخاذه طاغوتاً يكون بعبادته فإن من الناس من يعبد الشيطان عبادة صريحة﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾ وفي هذا الزمان هناك فرقة موجودة أسأل الله ﷻ بأن يعافينا وإياكم من هذا البلاء الذي وقعوا فيه وأن يقي المسلمين شرهم هم عبدة الشيطان يقدسون الشيطان ويعبدونه، ربما وصل بلائهم إلى بعض بلاد المسلمين........، أو يكون ذلك بطاعته في الشرك، فكل شرك وقع على وجه الأرض فقد زينه إبليس لعنه الله، كل شرك وقع على وجه الأرض زينه إبليس.

وإبليس لاحظ أنه عنده تعظيم للهﷻ وهذا من العجائب سبحان الله، لكن يزين لأتباعه أن يتمردوا على الله ﷻ بما لا يستطيع هو أن يتمرده هو تمرد على اللهﷻ لكن له حد، ولذلك تأمل ماذا يخاطب الله يقول ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

سبحان الله يؤمن بماذا بعزة الله ويخاطب اللهﷻ هذا الخطاب المتأدب بعزتك لأغوينهم أجمعين، ولكنه زين لكثير من الناس أن ينكروا وجود الله أن يكفروا بعزة الله بل أن يسيئوا الأدب مع الله، وربما أوقعهم في سب الله عفاني الله وإياكم من ذلك، فانظر إلى مكر هذا اللعين أما هو عنده حد ما استطاع أن يتجاوزه، قال: فبعزتك، قال: ربي أنظر كيف أنه يعترف بربوبية الله ﷻ.

المقصود أن إبليس عليه لعنة الله هذا أول وأهم الطواغيت على الإطلاق وكل الطواغيت تلاميذ له وأتباع له.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن عبد وهو راضٍ، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب).

من عبد وهو راضٍ يعني تقدموا الناس له بالعبادة، فوافق هذا محل إعجاب عنده سجدوا له، ركعوا له، أطاعوه في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله ووافق رضي فهذا لا شك فيه أنه طاغوت، ولاحظ أن الطاغوت ليس كافراً بل هو كافرٌ كفراً مبالغ فيه، يعني ليس مجرد كفر رفض هذا كفره ماذا؟ زائد، يعني هناك مثلاً من يسجد لغير الله ﷻ هل هو طاغوت؟ هذا كافر، لكن أن يُعبد وهو راضٍ هذا كافر وطاغوت، إذاً كونه طاغوتاً يدل على أن هناك ماذا؟ زيادة لأن قُلنا طاغوت من الطغيان وهو زيادة عن الحد فهو كافر وزيادة أيضاً، نعم.

قوله: **(ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه)** من دعا الناس إلى عبادة نفسه، ولو لم يُعبد، من ترشح للعبادة وقدم نفسه للناس على أنه معبود يستحق أن يُعبد، ولو لم يتوجه إليه أحد فإنه طاغوت.

إذن من عُبد وهو راضٍ ولو لم يدعوا إلى عبادة نفسه طاغوت، ومن دعا إلى عبادة نفسه ولو لم يُعبد فهو طاغوت.

قوله: **(ومن ادعى شيئاً من علم الغيب)** ومن ادعى شيئاً من علم الغيب، وما أكثر البلاء بهذا الأمر مع الأسف الشديد، كثيرٌ يدعون علم الغيب، الغيب ما غاب عنك، وهؤلاء يدعون علم المغيبات إما بأمرٍ ماض، أو بأمر المستقبل، أو بأمرٍ ضائع مثلاً، وهؤلاء لهم وسائل كثيرة منهم: من يتخذ ذلك عن طريق الرمل ويسمى الرمال، يخط خطوط كثيرة عشوائية على الأرض، ثم يبدأ يمسح اثنين، اثنين، اثنين، ثم بعد ذلك ينظر ما الذي يبقى ثم بعد ذلك يخبر يقول لك: أنت سيحصل لك خير، أو سيحصل لك شر.

منهم من يجعل ذلك عن طريق الكف، قراءة الكف يضرب على يدك ثم يخبرك يقول: أنت ستتزوج بعد كذا وكذا، وستدخل في تجارة وتخسر.

ومنهم من يكون عن طريق قراءة ماذا؟ الفنجان يقول اشرب القهوة ثم بعد ذلك يحركها ثم ينظر فيقول: سيكون كذا، وسيكون كذا بالنسبة لك.

....

منهم من يكون عن طريق ما يسمى بالأبراج تجد في بعض المجلات التي يقرأها من لا خلاق له تجد حظك هذا الأسبوع أنت مولود متى؟ في بُرج الجدي إذاً هذا الأسبوع سيحصل لك كذا ستتعرف على صديق سيكون لك كذا، وكذا.

أو يكون بالذهاب إلى كاهن صريح تذهب إليه وعنده دخون، وعنده شيء من النار وربما أشعل النار ثم ينظر في اللهب على أي شكل يتشكل هذا اللهب في نهايته ربما أخبرك بشيءٍ مما يكون.

أو عرّاف يقول له والله ضاع مني كذا وكذا، فيبدأ يُتمتم ويستخدم بعض الأمور ثم بعد ذلك يُخبرك يقول لك: المكان الذي حصل فيه الضياع هو كذا وكذا، وتجد ضالتك كذا وكذا.

أو عن طريق الحروف الأبجدية يجمع اسمك مع اسم أبيك مع أسم أمك بحسب الحروف الأبجدية، الألف يقابلها واحد، والباء يقابلها اثنين إلى آخره ثم بعد ذلك يقسم ويطرح بعملية حسابية ثم الناتج يقول لك انظر الجدول قد خرج الرقم خرجت النتيجة بعد العملية الحسابية تسعة، انظر في الجدول ماذا يكون تسعة إذاً هذا الذي يكون عليه مستقبلك.

إلى غير ذلك من هذه الصور التي مع الأسف الشديد أمرها منتشر بين بعض المنتسبين إلى الإسلام، وهذا أمر في غاية الخطورة، أما هذا المدعي للغيب فلا شك أنه كافر وطاغوت أيضا،كفره كفرٌ زائد فيه مبالغة في العتو، ويبقى السؤال عن هذا الإنسان الذي يأتي ويسأل ويقول: أريد أن أعرف ما الذي سيكون؟ وهذا يا إخوان انتبه له فيه تفصيل، من أتى إلى أحد هؤلاء المدعين للغيب فسأله فصدقه قال له سيكون كذا فاعتقد ذلك وصدق لأنه يعتقد أنه يعرف الغيب فهذا قد أفتى فيه النبي ﷺ بأنه قد كفر على ما أُنزل على محمدﷺ **«من أتى عرافاً أو كاهناً فسأله فصدقه لما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمدٍﷺ»** إذن انتبه يا من تذهب إلى هؤلاء أنت تلعب بالنار القضية إيمان وكفر وأنت وشأنك.

الحالة الثانية: أن يأتي فيسأله دعني نجرب ننظر هذا نعرف أنه دجال لكن أريد أتسلى، أريد أعرف ماذا عنده أريد أتفرج، نقول هذا أيضاً على خطر.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (ومن حكم بغير ما أنزل الله)

فأولًا لا تأمن قلبك ربما إذا سمعت الكلام انجذب قلبك إليه فعظم في عينك فصدقته، فإن لم يكن هناك تصديق فإنك خرجت من عنده وقد بؤت بذنبٍ عظيم، «**فمن أتى عرافاً فسأله لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**» كما قال النبي ﷺ، نسأل الله العافية والسلامة.

أنظر هذا الذنب ما أثره أربعون يوماً تصلي وواجبٌ عليك أن تصلي ومع ذلك لا يقبلها الله منك ولا يثيبك عليها عقوبة على ما ذهبت إليه من جلوسك بين يدي من يدعي علم الغيب، فحذاري حذاري من النظر في هذه الأمور هذا الذي يأخذ المجلة ويتفرج ويضحك هذا يخشى عليه أنه دخل في هذا الحديث لا تقبل له صلاة أربعين يومًا.

قوله: **(ومن حكم بغير ما أنزل الله)** الله جل وعلا أنزل شريعة كاملة شاملة لجميع مناحي الحياة، الشريعة الإسلامية دين ودنيا، ليست ديناً مختصاً بالمسجد فقط بل هي دين ودنيا وأحكام وشرائع، وأنظمة لكل شيء، قلنا سابقاً من سياسات الدول، وإلى كيف يلبس الإنسان حذاءه وما بين ذلك كله مدون في الشريعة، التعامل بين الأصدقاء، أو الأعداء، التجارة، الزراعة ، الطلاق، النكاح، تربية الأولاد، الأخلاق، كل شيء فهو ولله الحمد موجوداً في هذه الشريعة منظماً تنظيماً يعود بالسعادة على من اتبع ذلك من أفراد أو جماعات.

إذن الذي يحكم بشرع الله ﷻ، وهو يقول الشريعة لا تصلح لهذا الزمن، الزمن تغير، الشريعة تصلح للزمن الذي قبل ألف وربع مائة سنة، أما اليوم لا يمكن أن نطبق هذا الشريعة لأنها غير صالحة، الشريعة، يعني مناسبة لأناس فيهم بداوة وفيهم دروشه وفيهم بساطة في الحياة، أما هذا الزمن المعقد كيف نطبق الشريعة، الشريعة لا تصلح لهذا الزمان هذا العياذ بالله طاغوت.

أو يكون حاكماً يحكم وقاضياً يقضي، ويقول: الحكم بالشريعة جيد لا بأس به وحسن، ولكن الحكم بغير ما أنزل الله ﷻ أفضل وأحسن، فهذا أيضاً طاغوت، أو يقول الشريعة الحكم بها حسن وجيد والحدود وقطع اليد، ورجم الزاني إلى آخره هذه أمور جيدة لا بأس بها، لكن يجوز أيضاً أن نعمل بالقوانين الوضعية الذي سرق يجوز أن نقطع يده ويجوز أيضاً أن نحكم عليه بالسجن لمدة سنة هذا جائز و هذا جائز ولنا أن نختار ما نشاء ننظر الأصلح لنا ونفعل وإلا هذا جائز وهذا جائز هما متساويان، هذا أيضاً طاغوت.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (والدليل قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

أما لو أن هذا القاضي عرف حكم الله ﷻ ولكنه حكم بغيره لهوى أو رشوة، أو مراعاة لقريب فنقول: هذه ليس بطاغوت ولكنه أذنب ذنباً كبيراً ووقع في كفرٍ أصغر، وهذا قد جاء فيه قول الله جل وعلا: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ فأولئك هم الظالمون، فأولئك هم الفاسقون، إذاً ينبغي أن ننظر في هذه المسألة بهذا التفصيل.

قوله: (والدليل قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ **العروة الوثقى**: هي لا إله إلا الله كما فسره السلف، متى تكون مستمسكاً بلا إله إلا الله؟ محققاً لها إذا جمعت بين الأمرين تكفر بالطاغوت وتؤمن بالله فتأتي بلا إله إلا الله حقاً وصدقاً.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذا معنى لا إله إلا الله وفي الحديث «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سلامه الجهاد في سبيل الله»).

هذا الحديث حديث معاذ رضي الله عنه عند الترمذي وغيره بإسناد صحيح، لماذا أورده الشيخ؟ هو يتكلم عن لا إله إلا الله و عن الكفر بالطاغوت وعن الإيمان بالله ثم يذكر حديث النبيﷺ **«رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سلامه الجهاد في سبيل الله»**.

الجواب عن هذا: أن الشيخ أراد الجملة الأولى وهي رأس الأمر الإسلام لماذا؟ لأنه قبل ذلك عرفك ما هو الإسلام فقال ماذا؟ من يُعرف لنا الإسلام.؟ الإستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله ، النفي والإثبات.

إذن أراد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ التنبيه على ماذا؟ على هذه القضية التي مضت وهذا هو الإسلام الذي أمر الله جل جلاله به.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم).

ختم الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُهذه الرسالة العظيمة النافعة برد العلم إلى عالمه فقال: **(والله أعلم)** والله لا شك أنه أعلم وأكبر، ﷻ وثن على ذلك بالصلاة والسلام على نبينا الكريم محمدﷺ، وبهذا تكون هذه الرسالة قد ختمت ونحمد الله على ما يسر من المدارسة فيها ونسأل الله ﷻ أن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح، والإخلاص في القول والعمل، وإن كان من شيء يُختم به فهو التنبيه والتذكير والحزم على العناية بموضوع التوحيد بشكلٍ عام، وعلى العناية بهذه الرسالة على وجه الخصوص فهذه الرسالة لا غنى لكل مسلم عالماً أو عامي أو طالب علم عنها، ويوم من الأيام في سنين خلت كانت هذه الرسالة تُدرس ويتدارس فيها وتُسمع كل يوم بعد الفجر وبين العشاء.

ولذلك كان عناية الناس بالتوحيد وتعظيمهم للتوحيد كبير، تجد ليس طلبة العلم بل العامة يحفظون هذه الأصول الثلاثة، ويعرفون معناها، لأنها جمعت لك اللب والخلاصة لدين الله سبحانه و تعالى، ولاسيما قضية التوحيد.

فأوصي أخواني وفقني الله وإياهم لكل خير بالعناية بهذه الرسالة ومدارستها وأيضاً الكلام فيها والتدريس لها، وتعليمها للأبناء للزوجات، للأقارب إذا جلس الإنسان في المجالس لا حبذا لو طرح شيء مما جاء في هذه الأصول الثلاثة ونبه عليه، وجرى حديث نقاشاً حوله مفيد لا شك أنه خير ما يُقضى به الأوقات.

أسأل الله ﷻ أن يعني وإياكم على طاعته، وأن يوفقنا لمراضيه، وأن يستعملنا فيما يُحب كما أسأله جلا وعلا أن يملئ قلوبنا بحبه وألسنتنا بذكره، وأن يُعيننا على كل خير وأن يُجنبنا كل شر إن ربنا لسميع الدعاء.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبيه محمد وعلى آله و أصحابه وأتباعه بإحسان.